مصادر تموين الحملة الصليبية الأولى
1095– 1099م

أ.د/ حسن البطاوي
جامعة أسيوط

obeikandl.com

مصادر تموين الحملة الصليبية الأولى
1095–1099م

اهتم المؤرخون اهتماما كبيرا بدراسة الحملة الصليبية الأولى، فتناولوها بالدراسة والتحليل من جوانب عديدة،ولازالت حوادث هذه الحملة ومدلولاتها تغرى العديد من الباحثين المختصين الذين يسعون لتقديم الجديد فى هذا الموضوع، من خلال ما يتم اكتشافه من وثائق جديدة، أو بقراءات متعمقة للنصوص الأصلية وربطها بما يجرى على الساحة العالمية الآن .

وهذه الدراسة تتناول قضية حيوية فى تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ألا وهى مصادر تموينها. وهذا الموضوع ذو أهمية بالغة، إذ توقف مصير هذه الحملة على أمر المؤن، ما بين الفشل والنجاح، واستمرار زحفها وإعاقته كما لعبت قضية الطعام دوراً حيوياً فى علاقة الصليبيين بالبلاد التى عبروا أرضها، شعوبا وحكاما، هذا إضافة إلي أهمية الطعام ذاته لجيش يسير مسافات طويلة، ويصارع جيوشا وشعوبا فى بلادها، ويجهلون عن هذه البلاد أكثر مما يعرفون .

وقضية المؤن تطرح عدة تساؤلات، أولها ؛هل شارك البابا أوربان الثانى (1088م – 1099م)أو كان له دور فى إعداد مؤن الجيوش المتجهة إلى الشرق؟ وكيف استقر الصليبيون لتدبير الطعام لهذه المرحلة ؟ وما مدى درايتهم بالمسافة التى سوف يقطعونها ؟ وهل وضعوا فى اعتبارهم وقتا محددا لقطع هذه المسافة ؟ وما دور بيزنطة كشريك أساسى فى توفير الطعام لهذه الأعداد الضخمة؟ ثم ما هى المصادر الأساسية التى اعتمد عليها الصليبيون كمصدر لطعامهم ؟ وسوف نقدم إجابة عن هذه التساؤلات من خلال هذا البحث.

وفى البداية لابد من الإشارة إلى دور البابا أوربان الثانى فى الإعداد للحملة، والى أى مدى أسهم فى قضية مؤن الجيوش الزاحفة إلى الشرق. وعلى الرغم من أن فكرة الحرب الصليبية ضد المسلمين كانت قد شغلت بابوات سابقين، فإنها أخذت شكلاً عملياً بصورتها الضخمة المعرفة على يد البابا أوربان. وكانت فكرة الدعوة إلى الحرب الصليبية قد بدأت

تتبلور فى ذهنه أواخر صيف 1095م، إذ تنقل فى بلاد عديدة فى غرب أوروبا، وعزز رحلاته بإرسال خطابات إلى رجال الدين فى فرنسا وما حولها، يدعوهم إلى حضور المجمع المزمع عقده فى كليرمونت فقضى أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر فى دأب ونشاط. ومن المرجح أنه فى هذه الفترة قد رتب أفكار خطابه الذى سيلقيه على الحضور فى المجمع(1) .

وعقد المجمع فى الفترة من 18 حتى 28 نوفمبر 1095 م، وألقى البابا خطابه المشهور. ومن المفترض أن يكون البابا لديه خطة معينة عن الحرب الصليبية التى دعا لخروجها من الغرب الأوروبى. ولكن ليس بالضرورة أن يقوم بطرح هذه الخطة فى مثل هذا المحفل الذى يضم عدداً كبيراً من رجال الدين، ليس بينهم من العلمانيين المعول عليهم القيام بالحرب الصليبية سوى عدد قليل ولكن من الطبيعى أن يعطى البابا خطوطا عريضة عن مشروعه، يقنع به الحضور بجديته وجدواه (2) .

وقد وصلنا خطاب البابا أوربان بأقلام مؤرخين معاصرين للحدث، وآخرين متأخرين عنهم(3) وعلى الرغم من أنهم لم يتفقوا على صيغة موحدة للخطاب، ولا مضمون موحد، فإنهم اتفقوا على نقاط عديدة، وإذا كان من الممكن قبول ما اتفقوا عليه على أنها موضوعات تحدث فيها أوربان، فانها أيضا تعكس وجهة النظر الشخصية لهؤلاء المؤرخين(4).

وأما أهم النقاط التى اتفق عليها أغلب المؤرخين فهى أن البابا حث الحاضرين على مساعدة إخوانهم فى الشرق، وتقديم المساعدة لهم عن طريق الانتصار على الأتراك، وتخليص القبر المقدس من أيدى المسلمين، وأن هذه الحرب من عمل الرب، كما دعا الأغنياء والفقراء على السواء للمشاركة، ووعد المشاركين بغفران الذنوب (5) .

ولما كان من غير المتوقع أن يتحدث البابا أوربان فى هذا المجمع عن استعدادات معينة للحملة، أو عن خطط قتالية، فإنه لم يذكر صراحة خطة معينة، أو ترتيبات بعينها عن مؤن المشاركين فى الحملة واكتفى بإشارة عامة عن هذا الأمر، عندما أخذ يشجع الحاضرين على

المشاركة، ويحثهم على سرعة المبادرة وعدم التردد، قائلا لهم إن قلة المال لن تمنعهم من المشاركة طالما كانت العناية الإلهية ترعاهم (6).

وبقدر ما تحمل هذه العبارة من براعة البابا فى استخدام الوازع الدينى لدى جماهيره، فإنها تشير إلى أن الرجل لم يغفل أمرا مهما يتوقف عليه نجاح مشروعه، ألا وهو مصادر تموين هذه الحملة .

وقد لقيت دعوة البابا حماسا منقطع النظير، فاق ما كان يتوقعه من استجابة. ولما كان البابا هو المسئول الأول عن هذه الحرب، فقد واصل جهوده فى سبيل إتمام مخطط الحملة، فاجتمع بأساقفته، وأصدر عدة قرارات، كالعفو عن أصحاب العقوبات الدنيوية المشاركين بإخلاص فى الحرب، وتولي الكنيسة حماية ممتلكات المشاركين أثناء تغيبهم فى الحملة، وإمعانا من البابا فى صبغ مشروعه بالصبغة الدينية، والقيادة البابوية، فقد عين مندوبا عنه من رجال الدين قائدا للحملة، وهو أدهيمار أسقف لى بوى (7) .

وعلى كل حال، فإن قضية تموين هذه الحملة قد شغلت بال البابا أوربان، والحقيقة أنه دعا الجماهير للمشاركة فى حربه المقدسة، الأغنياء والفقراء جميعا، ولما كانت دعوته قد ذهبت إلى آفاق بعيده فى الغرب الأوروبي، وتحمس لها الأوربيون على اختلاف مستوياتهم، فيبدو أن البابا بدأ يتدارك هذا الأمر، واضعا فى الاعتبار أن جماهير غير المحاربين الذين نهضوا للمشاركة فى الحملة ليسوا إلا عقبة وحملاً ثقيلاً على الأداء القتالى للفرسان، وأن حماية وإطعام هذه الإعداد سوف يكون على حساب الفرسان المقاتلين. ولذا فقد جاء نشاط البابا الحيوي فى سبيل التخطيط للحملة عقب مجمع كلير مونت، وخاصة من خلال خطاباته التى أرسلها إلى مدن وأمراء من الغرب الأوروبى(8) .

وقد تحدث البابا صراحة فى خطاباته عن مشاركة الفرسان فى الحملة، دون غيرهم من غير المحاربين، ووضع قيودا أمام مشاركة الرهبان ورجال الدين وكبار السن والنساء والمتزوجين حديثا(9) .

وكانت قضية تموين الحملة إحدى القضايا التى اهتم بها البابا أوربان، فقد أشار

إليها من قبل فى مجمع كلير مونت، عندما نصح المشاركين بالاستعداد للرحلة، وتأجيل الرحيل لما بعد موسم الحصاد، وحدد يوم 15 أغسطس 1096م بداية انطلاق الحملة. ثم خرج جوالاً فى مدن وأقاليم وأديرة عديدة فى الغرب الأوروبى، والتقى خلالها شخصيات عديدة من الذين أعلنوا مشاركتهم. ومن أهم الشخصيات التى التقاها البابا هو ريموند سان جيل (الصنجيلى) (10) ومن المتوقع ان يكون البابا ناقش معه خطط الحملة وربما يكون منها قضية التموين، إضافة إلي خط سير الجيوش المشاركة، وقيادة هذه الجيوش، والموقف من المسيحيين الشرقيين، وغيرها من القضايا الحيوية .

وإذا كان البابا أوربان قد ظهر عليه القلق لمشاركة العديد من غير المحاربين، فإنه قد وضع القوانين اللازمة التى رأى أنها ستعالج هذا الأمر. ولكن إذا كانت مؤن الحملة لا زالت تشغل باله، فانه قد وصل إلى قناعة، وربما كانت هذه القناعة قد استقرت فى ذهنه من خلال مناقشاته مع بعض الأمراء المشاركين، خاصة ريموند الصنجيلى، فرأى انه لا مناص من الاستعانة بقوى أخرى تمد هذه الأعداد الضخمة بالطعام اللازم خلال رحلتهم الطويلة. ومن هنا جاء طرح المدن الإيطالية فى القضية الصليبية، علاوة على بيزنطة التى سيقطع الصليبيون مسافات طويلة من أراضيها حتى يصلوا إلى أراضي المسلمين والأماكن المقدسة .

وقد راسل البابا مدينة جنوه، وطلب من الجنويه التعاون مع الصليبيين (11). والواقع أن سفنهم لم تظهر إلا أثناء حصار أنطاكية، كما سنذكر بعد ذلك. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه، هل طلب البابا من الجنوية التعاون البحرى وهو يعلم أن خط سير الحملة سيكون برياً ؟ ام انه حدد فى مفاوضاته ان يقدم الجنوية مساعداتهم عندما يقترب الصليبيون من ساحل البحر المتوسط ؟ والراجح انه استبعد مساعداتهم فى المرحلة المتقدمة من المرحلة، والتى سيقطعها الصليبيون فى الأرضي البيزنطية، ثم لو قدر لهم النجاح، فانهم سيواصلون طريقهم عبر آسيا الصغرى، وانه جرى التفاوض معهم على ان يقدموا المؤن والمعدات للصليبين عند نجاحهم فى الوصول إلى ساحل بلاد الشام .

والذى يؤيد هذا الفرض ان البابا كان على قناعة تامة ان بيزنطة ستقدم المؤن اللازمة

طالما كان الصليبيون فى أراضيها، ثم انها سوف تستمر فى تقديم المساعدة حتى هذه النقطة من المرحلة. هذا وأن كان رنسيمان قد افترض أن الجنوية أرجأوا تعاونهم حتى يتأكدوا لهم نجاح الصليبيين (12) .

وعلى الجانب الآخر، فان البابا أوربان ومن معه من الأمراء لم يغفلوا دور بيزنطة الفعال المنتظر تقديمه. وقد ظهر خطابان أحدهما منسوب للبابا وبعض الأمراء الصليبيين يخبرون فيه الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (1081 / 1118م) بتكوين الحملة وموعد رحيلها والثانى رد من الإمبراطور يعدهم فيه بتقديم المساعدة. وعلى الرغم من الطعن فى صحة الخطابين (13)، فان الحوادث سوف تأخذ اتجاها يؤكد ان الإمبراطور البيزنطى كان على علم بما يجرى فى الغرب الاوربى، وأن جيوشا غربيه سوف تعبر أراضية فى أواخر الصيف، وأنه، كيفما كان الأمر، سيقدم الطعام اللازم لهؤلاء القادمين إلى بلاده .

وأما عن غرب أوربا، فإن حالة من الاستنفار قد سرت بين الناس، وضجت القرى والمدن بصخب الرحيل إلى الشرق. والتقى البسطاء يتحدثون عن مشروع البابا، ويمنون أنفسهم بأمانى ملؤها الرغبة فى حياة أفضل وتراسل الأمراء هنا وهناك، للترتيب والتنسيق وحث بعضهم بعضا على الاستعداد بهمة ونشاط، وأخذ بعضهم يذكر بعضا بموعد الرحيل المقرر مسبقا من قبل البابا(14).

كانت قضية توفير الطعام هى الشغل الشاغل لجميع المشاركين فى الحملة، سواء كانوا أغنياء أم فقراء، محاربين أم غير محاربين، وسعى الصليبيون لتدبير الأموال اللازمة لرحلتهم، لشراء ما يلزمهم من طعام يستطيعون حمله لأطول مسافة ممكنة، وتجهيز أسلحتهم وأدوات رحلتهم، والاحتفاظ بجزء من هذه الأموال لسد النفقات الضرورية أثناء الرحلة .

ولا شك أن وسائل تدبير المال، والاستعداد للحملة من قبل الفرسان اختلف كثيراً عما اتبعه العوام ثم أن الفرسان انفسهم اختلفت وسائل تدبيرهم للأموال من فارس إلى آخر، كل منهم حسب قدرته الاقتصادية، وما توافر لديه من إعداد الجنود المشاركين تحت قيادته. وعلى كل حال، فإنه لم يكن هناك من إدارة خاصة، سواء مكلفه من البابا، أو جرى

تكوينها من جماعة الأمراء، لتتولى أمر تدبير وإدارة تموين هذه الحملة (15) .

و كانت النقود المداولة فى الغرب الأوربى أثناء الاستعداد للحملة قليلة القيمة إذا قارناها بعملات الدولة البيزنطية، أو العملات المستخدمة فى العالم الإسلامى. وكان ذلك راجعاً إلى كثرة العملات التى ضربها أمراء الإقطاع، وتلاعبهم فى درجة نقاء العملات الذهبية(16).

وقد تأثرت أسعار النقد تأثراً كبيراً من جراء دعوة البابا أوربان للحرب الصليبية. ونهض الفقراء قبل الأغنياء، لتدبير الأموال بشتى الطرق، وقام بعض العوام بإجبار اليهود فى ألمانيا على دفع الأموال، وكان على رأسهم بطرس الناسك، كما قام جود فرى البويونى بابتزازهم أيضا. وأتجه البعض إلى بيع ممتلكاتهم، وقام آخرون برهنها (17) .

ونتيجة لكثرة المعروض للبيع من الممتلكات، وقلة المقبلين على الشراء، سواء من الأفراد أو من المؤسسات الدينية، فإن قيمة هذه الممتلكات انخفضت كثيراً، واضطر الراغبون فى البيع إلى التفريط فى ممتلكاتهم وحاجياتهم بأبخس الأثمان. وفى مقابل ذلك ارتفعت أسعار السلع الضرورية للصليبين ارتفاعاً باهظاً، نتيجة للإقبال الكبير على شرائها(18) .

ولما خرجت حملات العامة قبل الموعد المحدد للرحيل لم يفيدوا من موسم الحصاد، مثلما أفادت جيوش الأمراء الذين انتظروا نضوج المحاصيل. حتى اذا جاء موعد الرحيل لم يكن هناك نقص فى الطعام فى غرب أوروبا (19) .

وإذا نظرنا إلى ما سبق طرحه، سنجد أن قضية تموين الحملة كانت بالغة الأهمية، فقد كانت السبب الرئيسى وراء تحديد موعد خروج الحملة، وإذ لم تحفل جموع العوام بهذا الموعد، فان الأمراء خرجوا فى هذا الموعد أو قريبا منه .

وإضافة إلى ذلك كان أمر توفير الطعام وراء اختيار الأمراء للطرق التى سوف يسلكونها، فقد تم الاتفاق فيما بينهم من خلال المراسلات على أن يسلكوا أيسر الطرق، واتفقوا على ألا يكون طريقهم واحدا، بل عليهم أن يسلكوا طرقا عدة، لأنهم أدركوا صعوبة وفاء أى إقليم يمرون به ببذل الطعام لهذه الأعداد الكبيرة ولذلك سلك كل أمير منهم طريقاً غير الذى سلكه رفاقه (20) .

ومن هنا كانت قضية توفير الطعام أحد أهم القضايا التى شغلت الصليبيين قبل خروج الحملة .ولكن هل كان لدى الصليبيين المعلومات الكافية عن الرحلة إلى الشرق ؟ أى هل كانوا على علم بالمسافة التى يجب أن يقطعوها براً حتى يصلوا إلى هدفهم، والراجح توافر مثل هذه المعلومات لديهم، وأن كان احتمال نسبة دقتها قليلة. فقد خرجت رحلات حج أوروبية إلي الأماكن المقدسة فى الشرق، كما ذكر أن بطرس الناسك قام برحلة إلى هناك قبيل الحملة الصليبية، وواجهته عقبات كثيرة، وربما فشل فى الوصول إلى فلسطين(21). وإذا كان بطرس الناسك قد قام بالفعل بهذه الرحلة، فإنه عاد ومن معه ولديهم معلومات عن الطريق، توافرت من دون شك للمشاركين فى الحملة الصليبية .

وقد خرج الصليبيون فى قسمين مختلفين، القسم الأول تشكل من العوام، وقد خرجوا بدون تبصرة كافية بأمر الطعام، فما حملوه معهم من طعام لم يكن إلا لمسافة قصيرة. واعتقدوا أن ما جمعوه من أموال قليلة تكفى لتغطية نفقات الرحلة. والقسم الثانى تمثل فى الأمراء، وكانوا أكثر مسئولية بإدارة شئون جيوشهم، ورعاية مصالحهم.

وقد بدأ خروج أولى الجماعات الصليبية فى ابريل 1096م وتوالى خروجهم بعد ذلك، حتى خرج جيش أخر فى أكتوبر من نفس العام، وكان استيلاؤهم على بيت المقدس فى 15 يوليو 1099م. وهذا يعنى أن الحملة قضت فى طريقها حوالى ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. عبروا خلالها بلدانا عديدة، تباينت علاقاتهم مع حكام وشعوب هذه البلاد، بين الصداقة والود، والعداء والقتال. هذا إضافة إلي أنهم عبروا أقاليم مختلفة، فمروا داخل غابات، وتسلقوا جبال، وزحفوا على صحارى وهضاب .

و خلال هذه الرحلة كان عليهم تدبيرأمر طعامهم وأعلاف خيولهم، فمن البديهى أن ينفذ الطعام الذى حملوه معهم من الغرب الأوروبى، وأنه لم يكفهم سوى أيام قليلة. وأصبح اعتمادهم فى توفير الطعام رهن ظروف الطريق. والحقيقة أنهم أثناء سيرهم اعتمدوا على عدة مصادر لتوفير الطعام. وللحديث عن هذه المصادر نقوم بتقسيم خط سير الحملة إلى أربع مراحل، تميزت كل مرحلة عن الأخرى بظروف ومصادر تموينية مختلقه (22) .

والمرحلة الأولى هى المرحلة المجرية، والتى عبرت فيها بعض جيوش الحملة أراضى المجر. والمرحلة الثانية هى المرحلة البيزنطية، وتبدأ من دخول الحملة الأراضي البيزنطية حتى وصولهم أنطاكية. وأما المرحلة الثالثة فهى مرحلة أنطاكية .وتأتى المرحلة الرابعة والأخيرة ما بعد أنطاكية وحتى بلوغهم بيت المقدس .

ومن الملاحظ أن الصليبيين اعتمدوا فى كل مرحلة من هذه المراحل على مصادر تموين أساسية اختلفت عن المراحل الأخرى. وهذا إضافة إلي أنهم سلكوا مسلكا واحدا هو السلب والنهب فى أكثر من مرحلة، وذلك عندما كانت تدفعهم الحاجة إلى ذلك .

وسوف نلاحظ أيضا أن وصول الجيش الصليبى إلى مدينة ما كان يؤدى إلى كثرة الطلب على الطعام، وبالتالى ترتفع أثمانه بصورة كبيرة. وقد أضرت هذه التطورات بالفقراء المشاركين فى الحملة، ولم تكن لديهم القدرة المالية على تدبير الطعام خلال مراحل الرحلة كلها (23)، وبالتالى سنجدهم أكثر الخارجين على نظام الجيش، والناكثين لتعهداتهم التى قطعوها على أنفسهم لأصحاب البلدان التى عبروا أراضيها .

وأما عن الطرق، فكان من المقرر أن يسلك الصليبيون الطرق البرية المؤدية إلى الأرضي المقدسة .وقد جرى الاتفاق بين الأفراد من قبل على ان يسلك كل منهم طريقا مختلفا عن الآخرين، حتى يسهل عليهم تدبير الطعام. وقد خرجت الجيوش من أقاليم متعددة، فسلك كل أمير طريقا مختلفاً عن رفاقه، حتى وصلوا إلى الحدود المجرية والبيزنطية .وكان أمامهم طريقان يؤديان إلى القسطنطينية، الطريق الأول فى الشمال، ويخترق الأرضي البحرية مارا بسملين، ويمر على بلجراد بعد عبور نهر سالف على الحدود البحرية البيزنطية، ثم يمتد فى بلغاريا التابعة للسيارة البيزنطية، ماراً بمدينة ينش وصوفيا ويليبو بوليس وأدرنه ثم القسطنطينية. وأما الطريق الثانى، فهو الطريق البيزنطى المعروف بفيا اجناتيا Via Egnatia ويبدأ من دوارزو على البحر الادريانى ثم اوكريدا إلي فودينا ثم سالونيك، ثم موسينو بوليس ثم سيليمبريا ثم القسطنطينية (24) .

والمرحلة الأولى هى المجرية، ويجوز ان نسمى هذه المرحلة بمرحلة السوق المفتوح، اذ اعتمد الصليبيون بعد اتفاقهم مع المجريين على ان يفتح المجريون أسواقهم ليشترى الصليبيون منها ما يلزمهم من مواد تموينية، كما سنعرض لذلك تفصيلا .

لقد استجابت جموع غفيرة من العوام لدعوة الحرب المقدسة، وانتشرت كلمات البابا أوربان فى انحاء الغرب الاوربى كانتشار النار فى الهشيم، وألهبت خطب دعاة الحرب أمثال بطرس الناسك حماس العامة .وبلغت استجابة العوام لهذه الدعوى حدا لم يتوقعه البابا، ووجد نفسه مضطراً لوضع قيود للحد من مشاركة غير المحاربين كما ذكرنا من قبل، ولكن

ذهبت تحذيراته أدراج الرياح، وكانت جموع العوام أول الزاحفين إلى الشرق (25)، والتفت جموع عديدة من العوام فى كولونيا، وعلى الرغم من أن فرص الحصول على الطعام لم تكن مناسبة بالقدر الكافى، فان والتر المفلس(26)، قرر الانفصال عن بطرس الناسك ومن معه فى كولونيا، وغادروها فى 8 مارس 1096م واتخذ طريق الراين جنوبا حتى وصول إلى نهر الدانوب، فالتزمه حتى وصول حدود مملكة المجر فى 8 مايو، وأرسل إلى كولومان ملك المجر (1116/1095م) يطلب منه عبور أراضيه، وتقديم المواد التموينية لجيشه أثناء عبورهم ووافق ملك المجر لوالتر على كما طلبه. وطوال هذه الفترة إلى قضاها والتر وجيشه فى أراضى المجر كانت الأسواق المجرية تقدم المواد التموينية والأعلاف اللازمة. وعبرت هذه الجماعة بدون مشاكل خاصة بالتموين، إلا من حادث فردى وقع عند سملين فى أخر الأرضي المجرية(27) .

و كان على المجريين أن يأخذوا حذرهم بعد حادث سملين، فقد تواردت الأخبار إليهم بقدوم جماعة أخرى. وكان بطرس الناسك قد تحرك من كولونيا فى 20 ابريل، وعندما وصل إلى الحدود المجرية استقبله ملكها استقبالاً حسناً. واعتمد بطرس وجيشه فى توفير الطعام على الأسواق المجرية، التى ازدادت وفرة بالسلع الضرورية مع أسعارها المعقولة. وعلى الرغم من ذلك فقد وقعت حوادث شغب واحتكاكات بين الصليبيين والمجرين فى سملين، وكان السبب وراء هذه الفتنه فظاظة رجال بطرس وعدم انضباطهم، وارتكب الصليبيون مذبحة راح ضحيتها حوالى أربعة ألاف مجرى(28).

و على الرغم مما جرى فان ملك المجر وافق على عبور جماعة صليبية أخرى من العوام .وكان على بلاده أن توفير الطعام لهذه الجماعة، وفتحت الأسواق أبوابها،وقدم المجريون الطعام بوفرة. ولكن الصليبيين لم يحمدوا هذه النعمة، وامتدت أيديهم إلى البضائع المعروضة بالنهب، وعاثوا فسادا فيما طالته أيديهم. ولم يكن أمام المجريين إلا مواجهة هؤلاء الفاسدين، ومنعهم من مواصلة عبور أراضيهم (29) لقد افسدوا العوام صورة الصليبى فى مخيلة المجريين، فمنع المجريون جماعات أخرى من العوام من عبور أراضيهم (30).

وأما الوافد على بلاد المجر هذه المرة فكان جود فرى البوبونى وجيشه. وكان قد قر أن يتخذ هذا الطريق الذى سيجنبه لقاء البابا إذا سلك الطريق الجنوبى، وهو الأمر الذى كان يتحرج منه، لأنه من أنصار الإمبراطور هنرى الرابع (31) .

خرج جود فرى فى نهاية أغسطس 1096م ووصل إلى حدود المجر فى 20 سبتمبر، وأرسل بطلب من كولوفان الإذن بعبور أراضيه , وكان ما جرى من جماعات العوام ماثلا فى ذهن ملك المجر، ولكنه قرر هذه المرة أمام مالدي جيش جود فرى من قوة ونظام، ولم يجد مانعا من السماح لهم بعبور أراضيه بعد مفاوضات استمرت فترة من الزمن، ثم أخذ التعهدات اللازمة من جود فرى بحسن السير والسلوك داخل أراضيه، وأخذ أخاه بلدوين(32) رهينة لضمان تنفيذ ما تم الاتفاق عليه. وكان فيما اتفق عليه تقديم المجريون الطعام اللازم للجيش طوال رحلتهم فى الأرضي المجرية، ولقاء أثمان معقولة. وأقبل المجريون ببضائعهم يحملونها إلى الصليبيين، وكلما انتقلوا من إقليم إلى آخر وجدوا الأسواق مكتظة بكل ما يلزم الجيش من مواد تموينية، ومع وجود رقابة على حركة البيع والشراء، ولكى لا يحدث تطفيف فى كيل أو ميزان، ربما يؤدى إلى شغب بين الصليبيين والمجريين. ووصل جود فرى فى نهاية نوفمبر إلى سلمين أخر نقطة فى الأرضي المجرية، وعبر نهر سالف إلى بلجراد(33)

وتبدأ المرحلة الثانية بدخول الصليبيين الأرضي البيزنطية. وقد لعبت بيزنطة فى هذه المرحلة الدور الاساسى فى توفير المواد التموينية لجيوش الحملة. ويمكن ان نقسم هذه المرحلة إلى قسمين: فالقسم الأول يمتد من الحدود البيزنطية فى الغرب حتى تجمع الجيوش الصليبية فى القسطنطينية، واعتمد الصليبيون فيه على ما قدمه البيزنطيون من طعام، او ما أسميناه من قبل سياسة السوق المفتوح، هذا فضلا عما قام به الصليبيون من سلب ونهب لبعض المناطق التى مروا عليها. وأما القسم الثانى فيتمثل في المسافة من نيقية حتى أنطاكية .

وإذا كانت صحة المراسلات بين البابا أوربان الثانى والإمبراطور البيزنطى غير مؤكدة، فإن الذى لا شك فيه أن الأخير كان يعلم بقدوم الصليبيين، ويعلم على وجه التقريب الموعد

الذى سيصلون فيه أراضيه باستثناء من وصلوا قبل الموعد المحدد. ولذلك دبت حالة استنفار فى أرجاء الإمبراطورية، وصدرت التعليمات إلى قادة الأقاليم التى سيعبرها الصليبيون بتوفير الطعام لهم، ومراقبتهم (34) .كما حرص الإمبراطور على أن يكون استقباله حسناً لقادة الصليبيين، حتى يأمن جانبهم، ويرفع عن نفسه لائمة اللائمين، فخرجت رسله إلى موظفى أقاليم الحدود تأمرهم بالاستعداد للقاء الصليبيين(35).

و كانت جماعة والتر المفلس أولى الجماعات وصولا إلى الأرضي البيزنطية .وكان والتر يتوقع فتح الأسواق البيزنطية أمامه، ولكن حاكم بلجراد البيزنطى لم يفعل ما فعله كولومان ملك المجر، وانتظر حتى يأخذ إذن قائده الأعلى فى نيش، فأرسل الأخير بدوره إلى الإمبراطور فى القسطنطينية. واذاء هذه الإجراءات لم يمهل الجوع بطون رجال والتر، فعضهم بأنيابه، وخرجوا يبحثون عن الطعام، فنهبوا الحقول والمزارع، واستولوا على قطعان من الماشية والأغنام من أيدى أصحابها. فخرج السكان يحملون أسلحتهم، وفتكوا بكثير من الصليبيين واضطر والتر إلى متابعة سيره حتى وصل نيش، ثم واصل سيره إلى القسطنطينية فبلغها فى 20 يوليو (36) .

ويبرر رنسيمان ما جرى فى بلجراد، معتذراً عن الكيوس، بذكره سببين، الأول أن والتر تحرك بجيشه مبكراً، فوصل الأرضي البيزنطية فى موعد مبكر عما كان يتوقعه الإمبراطور، والثانى أن والتر سلك الطريق الشمالى الذى لم يتوقعه الإمبراطور، ولذا لم تكن الإمبراطورية مستعدة لاستقباله (37) .

وأعتقد أن ما جرى من إجراءات بيزنطية بعد ذلك يؤكد ما ذهب إليه رنسيمان، فقد قدمت المؤن لجيش والتر فى نيش وحتى وصولهم إلى القسطنطينية، وهناك تمتعوا بحرية البيع والشراء مدة انتظارهم حتى قدوم رفاقهم (38) .

و كان لقاء البيزنطيين لبطرس الناسك وجيشه غير حميد، فبعد دخوله الأرضي البيزنطية فى 26يونيو 1096م وصل بلجراد فوجد سكانها قد حجروها خوفا من فظاظة جيشه. وبلغ بطرس نيش فى 3 يوليو. وهنا سنجد أن الطعام هو المحرك للمصادمات التى

جرت بين جيش بطرس وأهل نيش. فقد طلب بطرس توفير المؤن لجيشه، على أن تكون بأسعار معقولة، وبالفعل قدم أهل نيش المواد التموينية، بعد تقديم الصليبيين رهائن منهم لإجبارهم على التزام النظام. ثم جرت حوادث شغب من بعض الصليبيين، وفشل بطرس فى السيطرة على رجاله، فى الوقت الذى انتقم فيه أهل نيش لأنفسهم، وبددوا شمل جيش بطرس، وضاعت أمواله أثناء المطاردات (39).

وأصبح بطرس وجيشه يعوزهم الأمن والطعام وهو فى قلب الأرضي البيزنطية، ولم يكن أمامه هو ومن تجمع معه ثانية من جيشه سوى سلب الطعام من المناطق التى مروا عليها، إلى أن وصلوا صوفيا فى 12 يوليو .وهنا كانت الإدارة البيزنطية العليا فى العاصمة قد تداركت الموقف، ووصل رسل الإمبراطور يطمئنون بطرس على أنهم ملتزمون بتقديم المؤن اللازمة لجيشه، وعليهم ألا يقيموا فى أي مدينة أكثر من ثلاثة أيام (40).

وصار جيش بطرس معتمداً فى طعامه على ما تقدمه الأسواق البيزنطية بأسعار مناسبة حتى وصلوا إلى القسطنطينية فى أول أغسطس. وأقاموا بجوار العاصمة مع والتر وجيشه، بدون انقطاع للطعام الذى توفره لهم العاصمة .ويبدو أن هؤلاء الغزاة قد انبهروا بهذه المدينة العظيمة التى حرمهم الإمبراطور من دخولها إلا فى جماعات صغيرة، فامتدت أيديهم بالسوء إلى بعض القصور، وأضرموا فيها النيران، وخلعوا الرصاص من أسقف بعض الكنائس، فاضطر الإمبراطور فى 6 أغسطس إلى إصدار الأمر بنقلهم عبر مضيق البسفور إلى آسيا الصغرى(41) .

واستمرت إقامة جموع العوام قرابة شهرين فى المعسكر الذى أعده الكسيوس بالقرب من نيقية (42) واعتمدوا فى طعامهم على ما يقدمه لهم التجار الإغريق، الذين جلبوا لهم كميات ضخمة من المواد التموينية. وكان من الصعب أن تستمر إقامة هذه الجموع بدون إثارة مشاكل، فقد خرجت جماعات منهم يريدون سلب ونهب المناطق المجاورة الخاضعة للسلطان السلجوقى قلج ارسلان (43) وعادوا ببعض الأسلاب، وإزاء ذلك فقد خرجت جماعات خرى طمعا فى الأسلاب مثلما فعل رفاقهم، وانتهت اغاراتهم بمواجهة قوية مع

جيش سلجوقى قضى على الغالبية العظمى من جموع العوام، ولم ينج منهم الا عدد قليل، كان بطرس الناسك واحدا منهم (44) .

ويذكر أحد المؤرخين أن معسكر العوام بالقرب من نيقية لم يعان أية مشاكل فى الطعام مع استمرار التجار الإغريق في تقديمه إليهم (45) .على أن هذا الرأى تنقصه الدقة، لأننا لو أمعنا النظر فيما جرى من حوادث رحلة هؤلاء العوام سنجد أنهم كانوا يفتقرون إلى الأموال، إضافة إلي ضياع خزائن الأموال التى كان يحملها بطرس الناسك معه عند نيش، وما حمله البعض من أموال نفد، أو كاد ينفد فى شرائهم لضروريات الحياة، ثم أن ما قدمه الإمبراطور من أموال قد خص به بطرس دون غيره، ولم يكن ليغطى نفقات هؤلاء الفقراء. هذا فضلا عن أن عدداً كبيراً من العوام خرجوا من ديارهم اعتماداً على ما قدمه الأغنياء من إحسان،وما تصدق به الأتقياء الذين مروا على ديارهم أثناء الرحلة. ومن ثم فإنهم عاشوا طوال مدة إقامتهم فى هذا المعسكر تحت رحمة تجار الإغريق، ولم يكن أمامهم سوى الاعتماد على سواعدهم لتوفير الطعام .

وأما عن طعام جيوش الأمراء، فلابد أن الإمبراطور البيزنطى قد استبد به القلق بعد ما رآه من مسلك العوام، وأن عليه أن يكون حذراً وحازماً فى مواجهة الأمراء أكثر من ذى قبل. وإذا كان عليه أن يضع سياسة تخدم مصالح إمبراطوريته تجاه جيوش الأمراء، فعلى رأس هذه الأولويات التى يجب اتباعها هى أن يوفر للصليبين المؤن اللازمة، حتى لا يحدث من الشغب والخروج على النظام ما لا يحمد عقباه .

وهذا يعنى بطبيعة الحال أن أمر توفير المؤن لجيوش الأمراء كان فى حسبان الإمبراطور، كما كان الأمراء يعولون كثيراً على معونة بيزنطية. فالإمبراطور لا يريد، أو لا يستطيع أن يرد هذه الجيوش، وأصبح من واجبه أن يقدم لهم المعونة، فيما لا يتعارض كل هذا مع أمن وسلامة الإمبراطور. وإذا كان الأمراء قد عبروا الأرضي البيزنطية كما سنرى بأقل الخسائر التى يمكن أن تضحى بها بيزنطة، فالإمبراطور لن يفوت فرصه استخدامه لسلاح التموين كورقة ضغط على الصليبيين للإفادة منهم فى الخطوة التالية .

و كان أول الأمراء وصولاً إلى الأرضي البيزنطية هو هيوكونت فوماندو(46)، فقد ارتحل أواخر أغسطس 1096م واتجه إلى إيطاليا، وفى أوائل أكتوبر وصل بارس فى الجنوب، وأثناء عبوره الادرياتي هبت عاصفة حطمت معظم السفن التى تقل جيشه، ونجا ومعه عدد قليل من رجاله، فاستقبله حاكم دورازو البيزنطى استقبالاً حسناً. ولم يكن هناك مشكلة فى إطعام هيو ومن معه حتى وصلوا القسطنطينية على الطريق البيزنطى الرئيسى فيا اجناتيا .وقد وضح حذر الكسيوس فى تكليفه فرقا من جيشه لمرافقة جيوش الأمراء ومراقبتهم، وإلزامهم كف الأذى عن السكان والممتلكات(47).

وأما الطريق البيزنطى الشمالى، اتجه نحوه جودفرى كما سبق أن ذكرنا، ووصل بلجراد أول أكتوبر 1096م ووصل القسطنطينية فى 23 ديسمبر م وقد تزود جيشه بالمؤن بفضل الجهود التى بذلتها الإدارة البيزنطية، ولم يحدث اختلال فى النظام إلا عند سيليمبريا، فخرج الجيش للنهب، واستمروا لمدة ثمانية أيام حتى دمروا المنطقة تماما، ثم عاد الجيش إلى الهدوء (48) .

وعند القسطنطينية برزت قضية الطعام كورقة ضغط، استخدمها الكسيوس لإجبار الصليبيين على قبول سياسته (49)وطوال مدة المفاوضات بين الكسيوس وجودفرى حول مستقبل الحملة والجيش يعتمد على الطعام المقدم من البيزنطيين. وقد سمح الصليبيون لأنفسهم بالخروج للحصول على الطعام فى إغارات واسعة حول القسطنطينية بعد منع الكسيوس تزويدهم به، نتيجة لتعثر المفاوضات مع جود فرى واضطر الكسيوس إلى التراجع عن قراره الخطير. واستقرت الأوضاع داخل معسكر جود فرى، ولكن مع نهاية شهر مارس 1097م كان جيشا صليبيا أخر قد أوشك على الوصول إلى القسطنطينية، ما يعنى قوة شوكة جود فرى عندئذ، وتغير إتجاه المفاوضات لصالحه . لذلك اتخذ الإمبراطور قراره بمنع الطعام عن جيش جود فرى. ولم يكن هناك سبيل أمام الأخير للحصول على الطعام سوى الإغارة على ضواحى القسطنطينية، ثم على العاصمة ذاتها. فانتشر فرسانه ينهبون الحقول فى دائرة محيطها بلغ ستون ميلاً، وعادوا بكميات وفيرة من المواد الغذائية. وكان على

الإمبراطورأن يحسم هذه القضية بالقوة العسكرية،ولم يكن أمام جود فرى بعد هزيمته سوى الذهاب إلى الإمبراطور لقسم يمين الولاء، وتم نقل جيشه إلى آسيا الصغرى (50) .

و كان بوهمند النورمانى (51) قد اعد جيشه وخرج من بارى فى أكتوبر 1096م وعبر الادريانى ورست قواته عند دورازو وبالقرب منها. واتخذ طريقة جنوب فيا اجناتيا، فمر على كاستوريا، ونزل فيا اجناتيا عند فودينا (اديسا)، ومر على سيرا فى نهاية فبراير 1097م، وفى أول أبريل بلغ روسا (كوشان الحالية)، وترك جيشه بها وذهب للقاء الإمبراطور، مصحوباً برسله، فوصل القسطنطينية فى أبريل. وهنا نرى أعداء الأمس أصدقاء اليوم. أو بمعنى أخر كان بوهمند والكسيوس أكثر تفهما للأوضاع السياسة. فقد وفر الإمبراطور الطعام اللازم لجيش بوهمند منذ وصوله الأراضي البيزنطية. فكانت تصدر الأوامر إلى سكان المناطق التى مروا عليها بحمل المؤن إلى جيش بوهمند، ولم يشذ عن ذلك الإ سكان كاستوريا، ولذلك خرج الصليبيون عندها على النظام، وسلبوا السكان مواشيهم وخيولهم وحميرهم وكل ما صادفهم .ولم يؤثر هذا الحدث على العلاقة بين الطرفين، إذ ان بوهمند ألزم جنوده الانضباط بعدها، ومنعهم من التعدى على السكان أو الممتلكات، وحاول أن يثبت للإمبراطور أنه خادمه المطيع. وبعد مفاوضات القسطنطينية تم نقل جيش بوهمند إلى آسيا الصغرى فى 26 ابريل (52) .

و أما ريموند الصنجيلى فقد اخترق جبال الالب، ثم سار موازيا للادريانى عبر استريا وكرواتيا ودلماشيا حتى وصل إلى دورازو فى أوائل فبراير 1096م ورافقته فرقة من الجيش البيزنطى عبر طريق فيا اجناتيا، فوصلوا بيلاجونيا منتصف الشهر، ثم بلفواروسا فى 12 ابريل، ثم رودستو فى 20 أبريل , عسكر الجيش هناك، وذهب ريموند إلى القسطنطينية للقاء الإمبراطور(53).

وقد عانى ريموند من أجل توفير الطعام خلال عبورة كرواتيا ودلماشيا، ولمدة أربعين يوماً امتنعت الجبال الوعرة، وسكان دلماشيا ان يرفقوا بريموند وجيشه، ولم تقدم مفاوضات ريموند مع الأمير العربى بودين ما كان يأمله من سلام وطعام. فقد عاودوا هجماتهم على الجيش

الصليبى حتى وصلوا إلى دورازو. ولم تكن رحلة ريموند فى الأراضي البيزنطية مرضيه تمام الرضى، اذ قدمت لهم المواد التموينية، ولكن كثرت الاحتكاكات بين الجانبين، وما من إشارة توضح أسباب ذلك ومن المحتمل أن تكون ندرة الطعام وراء تهور ريموند، إضافة إلي أن ريموند لم يكن حازماً فى ضبط جنوده. وقد وقع اشتباك عند بيلاجونيا، وأخذ المندوب البابوى ادهميار أسير ثم انقذ. وجرت حوادث عنف فى روسا، ونجح الصليبيون فى اقتحام المدينة، وخرجوا منها بغنائم وفيرة. وعلى الرغم من ذلك فان بيزنطة تحملت عبء توفير الطعام لجيش ريموند حتى تم نقله إلى آسيا الصغرى (54) .

و خرجت جماعات أخرى من غرب أوربا، وألتقى بعضهم بعضا وساروا حتى وصلوا ايطاليا، وكان على رأسهم روبرت دوق نورمندى وستيفن كونت بلوا وروبرت كونت فلاندرز وآخرون (55). ذو اتجهوا إلى روما، فالتقوا البابا أوربان، وأكملوا رحلتهم إلى الجنوب. وهناك فضل كونت نورماندى وكونت بلوا قضاء الشتاء فى كلا برى، وعبر كونت فلاندرز الادرياتى، ووصل الأراضي فى البيزنطية فى أوائل ديسمبر 1096 م، وتابع رحلته إلى القسطنطينية بدون مشاكل فى التموين .وفى 5 أبريل 1097 ركب كل من كونت نورمندى وكونت بلوا السفن من برنديزى. وأثناء عبور الادرياتى غرقت أحدى السفن وعلى متنها أربعمائة فرد، إضافة إلي الخيول والبغال وخزائن الأموال. واستقبلتهم السلطات البيزنطية فى دورازوا استقبالاً حسناً، وساروا فى طريق فيا اجناتيا حتى وصلوا القسطنطينية فى مايو وقد توافرت لهم المؤن طوال رحلتهم، وأقاموا أمام القسطنطينية أربعة عشر يوماً، وكانوا يشترون ما يلزمهم من طعام من سكان المدينة، الذين دأبوا على الحضور إلى معسكرهم بناء على أوامر الإمبراطور. ثم انتقل هذا الجيش ليلحق بالجيوش السابقة التى كانت تحاصر مدينة نيقية(56).

ومن هنا نجد أن الصليبيين اعتمدوا على ما قدمته الإمبراطورية البيزنطية من مواد تموينية منذ وصولهم إلى أراضيها , وما جرى من قله المؤن فى بعض مراحل الطريق كانت حالات نادرة، ولم يتورع الصليبيون فيها عن السلب والنهب لما طالته أيديهم من محاصيل

وحيوانات. وكان التزام بيزنطة بتوفير الطعام فى هذه المرحلة التزاما له شقان، الأول أخلاقى، فلم يكن الكسيوس ليقف فى وجه هذه الجيوش التى رفعت الصليب شعاراً، وإذا فعل فانه سيلقى من اللوم من جانب المسيحيين الشرقيين أنفسهم مثلما سيلومه اللاتين. والثانى سياسى، فقد رأى ألا يفتح على الإمبراطورية جبهة جديدة من الأعداء، ففضل لبلاده أن تعبر هذه الجيوش بسلام، طالما توافر لها الطريق الآمن والطعام الميسور، على ألا يعبثوا بالأقاليم التى يمرون عليها بحثا عن الطعام .

ولم تنته المرحلة البيزنطية عند وصول الصليبيين القسطنطينية، وإنما استمر الاعتماد الاساسى لتموين هذه الجيوش على ما تقدمه بيزنطة .وما جرى فى القسطنطينية من اتفاق بين الإمبراطور وأمراء الحملة لعبت فيه مسألة التموين دوراً محورياً فى الوصول إلى تفاهم مشترك. فلم يكن أمام الأمراء سوى قبول ما يمليه عليهم الإمبراطور، إذا استخدم التموين ورقة ضغط عليهم. وعلى الرغم من ان هذه الحملة كانت مشروعا بابويا، إلا أن الأمراء لم يقدموا طرحا بابويا معينا خلال وجودهم فى القسطنطينية، ولم يذكر أن ادهيمار مندوب البابا شارك فى هذه المفاوضات (57).

وقد أقسم الأمراء يمين الولاء للإمبراطور، وأن اختلفت الصيغة التى اقسم عليها ريموند الصنجيلى، والتزموا برد الأراضي التى يستولون عليها من المسلمين وكانت خاضعة لبيزنطة من قبل. وكان الاتفاق واضحاً وصريحاً على ان يقدم الإمبراطور المساعدة للحملة فى البر والبحر، وخاصة فيما يحتاجونه من مواد تموينية وأعلاف، ومساعدة الفقراء(58).

ودخلت مسألة التموين مرحلة جديدة بعد اتفاقية القسطنطينية، إذ أصبح لزاما على الإمبراطور أن يوفر الطعام لهذه الجيوش. والحقيقة أنه أغدق الأمراء بهداياه، وأعطاهم أموالا أغنت الفقراء منهم، ووزع إحساناً على الفقراء .وطوال فترة إقامة الجيش فى معسكره بالقرب من نيقيه وكان الطعام يأتيهم من القسطنطينية بكميات كبيرة (59) .

وإذا كان الإمبراطور البيزنطى قد التزم بتوفير الطعام لجيش الحملة فيما تبقى لهم من رحلتهم، فإنه لابد أن نضع فى اعتبارنا ان الفرقة السابقة كان الصليبيون يعبرون الأراضي

البيزنطية، وأما فيما بعد القسطنطينية فإنهم سوف يسيرون فى أراضى أعداء لهم وللبيزنطيين، ونعنى بذلك أننا نقيم دور بيزنطة من خلال هذا المنظور، فلما كان متاحاً لهم أن يقدموه للصليبيين لم يعد كذلك فى الأراضي الخاضعة لحكم المسلمين. وعلى هذا الأساس سوف نرى أن مصادر تموينهم لم تكن كلها من بيزنطة، فاعتمدت على السلب، كما وفرت لهم غنائم المعارك التى انتظروا فيها جزءاً من طعام رحلتهم، هذا فضلا عما قدمه الأرمن من هدايا، كما سنبين ذلك فى حينه .

وقد بدأ الصليبيون رحلتهم فى آسيا الصغرى بحصار نيقية فى 6 مايو 1097م، واستمر حتى سقطت فى 19 يونيو وطوال مدة الحصار والمواد التموينية الضرورية تأتى إلى الصليبيين من القسطنطينية .ولما استسلمت الحامية السلجوقية للقوات البيزنطية، اعتبر الصليبيون ذلك خسارة كبيرة ضيعت عليهم كنوز ومخازن هذه المدينة. إلا أن الإمبراطور لم يبخل عليهم بالهدايا، إضافة إلي الطعام الذى أمدهم به طوال مدة إقامتهم فى نيقية (60).

وفى 26 يونيو بدأت القوات الصليبية فى التحرك من نيقية، وصحبتهم فرقة بيزنطية على رأسها قائد يدعى تاتيكيوس. وعند هذه النقطة يتهم ريموند اجيل الإمبراطور البيزنطى بالجحود، أى تجاهله توفير المؤن للصليبيين(61). والراجح أن الإمبراطور لم يكن على سخائه المعهود، وأن ما وصل إلى الصليبيين من مواد تموينية لم يكن يكفيهم. وتأتى الحوادث بعد ذلك دليلا على ما ذهب إليه ريموند اجيل .

فبعد ثلاثة أيام من خروج الصليبيين من نيقية عقد القادة اجتماعا لمناقشة قضية التموين،و هذا يعنى أن قلة الطعام أصبحت مشكلة خطيرة، وأنه لا يوجد مصدر للتموين يستطيعون الاعتماد عليه، فأما أن الإمبراطور يرسل كميات لا تكفى هذه الأعداد الكبيرة، أو أنه لم يعد يرسل شيئاً. ولما كان من أمراً شاقاً توفير المؤن اللازمة لجيش الحملة مجتمعا، فقد قرر القادة فى اجتماعهم تقسيم الجيش إلى مجموعتين، تسبق إحداهما الأخرى بمسيرة يوم. وتقدمت المجموعة الأولى وعلى رأسهم بوهمند، ثم المجموعة الثانية ويقودهم ريموند الصنجيلى .وفى أول يوليو اصطدمت المجموعة الأولى بجيش سلجوقى عند دوريليوم كاد أن

يهلكهم، لولا وصول المجموعة الثانية التى حسمت المعركة لصالح الصليبيين (62). وما جرى حصده من غنائم بعد انتصارهم فى هذه المعركة عوضهم عن قلة الإمدادات البيزنطية. فقد عثروا على كميات كبيرة من الذهب والفضة، واستولوا على كثير من الخيول والحمير والبغال والأغنام والماشية، وأنواع شتى من الخيم والفساطيط وأقاموا ثلاثة أيام ينعمون بما حصلوا عليه من طعام وسط مراعى خضراء واسعة (63) .

وقد وعى القادة الدرس، وعاد الجيش يتحرك فى كتله واحدة وبلغوا قونيه فى منتصف أغسطس 1097م أى فيما يقرب من أربعين يوما. ومن الراجح أن إمدادات التموين البيزنطية توقفت تماماً بعد تحرك الصليبيين من دوريليوم. وكان عليهم أن يواجهوا الظمأ فى صحارى آسيا الصغرى الحارة، وندرة الطعام والأعلاف التى سعى الأتراك لإتلافها أمامهم فى الأقاليم التى سيعبرونها، فأهلك العطش والجوع خلقا كثيراً منهم.

وحينئذ لم يكن أمامهم مصدر لطعامهم ولأعلاف خيولهم سوى الاعتماد على ما نجا من نباتات بدون إتلاف، فكانوا يجمعونها، حتى الشوكية منها، ويسحقونها ويتغذون عليها. ولم يكن البشر وحدهم ضحايا هذه المرحلة، بل نفقت معظم الخيول، واضطروا إلى استخدام ما تبقى لديهم من الثيران والماعز والأغنام والكلاب لحمل الأمتعة. ثم وصلوا إقليم بالقرب من قونيه، لم تطله أيدى الأتراك، فوجدوا فيه من المحاصيل والنباتات ما أطعمهم من جوع، وعوضهم عن جدب الأيام الماضية، وساعدهم على مواصلة الرحلة(64).

و كان سكان قونية قد هجروها خوفاً من الصليبيين، فأقاموا فيها بعض الوقت ثم ذهبوا إلى هرقلة (65)هامش، وعندها انتصروا على جيش تركى .وفى 10 سبتمبر انفصل تانكرد ابن أخت بوهمند وبلدوين البولونى عن الجيش واتجها إلى قيليقيه، وأما الجيش الرئيسى فقد تحرك نحو قيصرية (66) هامش، وانتصر فى طريقه على جيش تركى آخر، ثم وصولها فى نهاية سبتمبر، وتابعوا مسيرهم ولم يحدث فى هذه المسافة أزمة فى الطعام، لأنهم نجحوا فى مطاردة الأتراك من أمامهم، فاحتفظت البلاد بمحاصيلها، وإضافة إلي ذلك، فقد وفرت غنائم المعركتين السابقتين بعض ما يقتاتون به حينا من الزمن. والأهم من كل ذلك أن غالبية

سكان هذه المنطقة كانوا من الأرمن، الذين رحبوا بالصليبيين، وقدموا لهم المساعدات اللازمة، وأقاموا أياما بينهم ينعمون بالطعام والشراب، وجهزوا أنفسهم بما يلزم رحلتهم(67).

وواصلوا سيرهم فوصلوا مرعش (68)فى 13 أكتوبر وانضم إليهم بلدوين قادماً من قيليقية، ثم غادرهم متجها نحو الرها (69)، وأما تانكرد فقد لحق بهم أمام أنطاكية، ووصلوا على مشارف أنطاكية فى 21 أكتوبر وخلال هذه الفترة كان مصدر تموينهم الأساسي هم الأرمن، الذين استقبلوهم في مرعش، وقدموا لهم الطعام الوفير، وأحسنوا ضيافتهم خلال فترة إقامتهم (70) .

و استمر الأرمن في تقديم المساعدات الضرورية للصليبين خلال زحفهم حتى بلغوا أنطاكية. كما أفادوهم أثناء إغاراتهم التي شنوها على المناطق القريبة من أنطاكية، فوفروا الطعام لروبرت كونت فلاندرز أثناء حصاره مدينة ارتاح (71) .

ومع وصول الصليبيين أنطاكية تنتهى المرحلة الثانية في رحلة الحملة حسب مصادر التموين، والتي تعمدوا فيها بصورة أساسية على مساعدات بيزنطة ثم ندرت هذه المساعدات بعد نيقية، ثم انعدمت بعد ذلك، ومع ذلك فقد ظل المندوب البيزنطي موجوداً في المعسكر الصليبي وعلى الرغم من أن دور بيزنطة يكاد يكون قد انتهى، فإن رسولا من عند الإمبراطور وصل إلى المعسكر الصليبي في أوائل عام 1099م يشكو إمتلاكهم أنطاكية، وأنهم بذلك خالفوا إتفاقية القسطنطينية. وردوا على الكسيوس بأنه نقض المعاهدة بعدم التزامه بتوفير الطعام، ولم يرسل السفن التى وعدهم أنها ستحمل المؤن وتتبعهم طوال رحلتهم (72).

وتبدأ المرحلة الثالثة وهى الأنطاكية من وصول الصليبيين أسوار المدينة فى 21 أكتوبر 1097م وحتى الاستيلاء عليها فى 3 يونيو 1098م، وتستمر طوال بقاء الصليبيين فى أنطاكية وما حولها، حتى خروجهم إلى بيت المقدس (73).

وكانت الدلائل تبشر بيسر الحصول على الطعام فى بداية حصارهم لأنطاكية، فقد وجدوا وفرة من الأعناب ومخازن مليئة بالقمح وأشجار فاكهة مثمرة، إضافة إلي أطعمه

متنوعة صالحة للتناول. حتى قال ريموند اجيل أنهم لم يأكلوا إلا أحسن قطع اللحم، كالفخذ والأكتاف، ويأنفون لحم الصدر، وأما القمح والنبيذ فلا يفكرون فيه. وفى هذه الفترة كانت تخرج فرق صغيرة من الصليبيين مهمتها البحث عن طعام الرجال وأعلاف الدواب، ويعودون وقد فاضت أيديهم بشتى صنوف الأطعمة (74) .

وبدأ الدعم الجنوى للصليبيين مع وصول أسطولهم إلى ميناء السويدية فى منتصف نوفمبر 1097م، وكانوا يحملون المواد التموينية، فضلا عن الأسلحة وآلات الحصار (75). ومنذ هذا التاريخ والصليبيون يعتمدون فى جانب من طعامهم على ما تأتى به السفن الجنوية. ولعل هذا الدور الحيوى الذى لعبه الجنوية فى تموين الحملة، جعل أحد المؤرخين يعتبر هذه المساعدة هى السبب الرئيسى وراء نجاح الحملة الصليبية الأولى (76) .

و كانت الفرق الصليبية لازالت تخرج لجلب الطعام، فى الوقت الذى أنتبه فيه المسلمون لهذا الأمر، وبدأوا ينصبون الكمائن لإعاقة حركة الصليبيين فى جمع الطعام. وفى إحدى المرات نجحت جماعة صليبيه فى الانتصار على فرقة من المسلمين، وعادوا إلى المعسكر يسوقون الخيول والجمال والحمير، إضافة إلي الحبوب التى حملوها على ظهور هذه الدواب(77).

ومع استمرار الحصار، فقد نفدت كميات الطعام التى حصدها الصليبيون، ولم يعد الخروج للبحث عن الطعام فى صورة فرق صغيرة يفى بالغرض،لأن المقاومة الإسلامية خارج أنطاكية نشطت إلى حد كبير لضرب فرق جمع الطعام. إضافة إلي أن الإقليم لم يعد فى استطاعته أن يقدم مزيداً من الطعام بعد ما جرده الصليبيون منه تماماً. وكان على الباحثين عن الطعام أن يذهبوا بعيدا للعثور على ما لم تصل إليه أيديهم من قبل. وفى سبيل ذلك تعرضوا لمزيد من الأخطار ليس فقط من حامية أنطاكية،بل أيضا من أصحاب البلدان المجاورة، والتى أمتدت أيديهم إليها، فأصبحوا يتربصون بالصليبيين فى كل مكان .

وكان الصليبيون يكابدون ا لم الجوع مع مشقة القتال، لذا فقد عقد القادة اجتماعا فى 23 ديسمبر 1097م لبحث مشكلة توفير الطعام. وتقرر تقسيم المؤن الموجودة

بالمعسكر، ومن المحتمل أنهم اسندوا هذا الأمر إلى إدارة معينة. كما كلفوا بوهمند وكونت فلاندورز بالخروج على رأس جيشين لجمع الطعام، فخرجوا فى 28 ديسمبر، وصادفوا جيشاً إسلامياً يقوده دقاق حاكم دمشق، وجرت بينهم معركة بالقرب من البارة فى 31 ديسمبر، وعلى الرغم من انتصار الصليبيين إلا أنهم لم يظفروا إلا باليسير من الغنائم (78) .

وأصبح من المؤكد أن ما أحتفظ به الصليبيون من طعام قد نفذ، أو تعرض للتلف والفساد. ولذا فقد خرج بوهمند ثانية على رأس مجموعة لتدبير الطعام، ووزع رجاله فى عدة اتجاهات، ولكن أحدا منهم لم يقم بعمل يرضى زعيمهم. وكانت عودتهم خائبين بمثابة إعلان لاشتعال الأسعار داخل المعسكر، ولم يعد فى وسع المعدمين والفقراء توفير قوت يومهم، وتساقط الجوعى جثثا هامدة، ونفقت الخيول بأعداد كبيرة جداً. واضطروا إلى أكل الأعشاب والأشواك، ثم امتدت أيديهم إلى الخيول والبغال والحمير والكلاب والفئران(79).

و خلال هذه الأزمة التى ألمت بالمعسكر الصليبى، برز دور ادهيمار المندوب البابوى، فقد دعا الصليبيين إلى التطهر من الذنوب بالصيام، وحث الأغنياء على مساعدة الفقراء، وقد استجاب كثيرون لنداء التكافل الاجتماعى. واقترح ادهيمار ومعه ريموند الصنجيلى تكوين صندوق لمساعدة الفقراء. وقد أفادت هذا الإجراءات الصليبيين فوائد كبيرة أهمها، رفع الروح المعنوية التى بثها فيهم ادهيمار، فأصبحوا أكثر استعداد لمعاودة الخروج لجمع الطعام، مهما كلفتهم المغامرة من تضحيات(80).

وإذا أمعنا النظر للبحث عن أسباب المجاعة الطاحنة التى ألمت بالجيش الصليبى أمام أنطاكية، نجد أن السبب الرئيسى هو طول مدة الحصار .وهذا يعنى بقاؤهم فى منطقة واحدة محل هذه المدة، وبأعدادهم الكبيرة هذه، واعتمادهم على السلب من الأقاليم التى تحيط بهم. ولما نجح المسلمون فى إعاقة الفرق الصليبية الباحثة عن الطعام، فقد جرى على المعسكر ما جرى من مجاعة، أودت بحياة الكثير منهم، وخرج الجوعى والضعفاء يلتمسون النجاة أينما وجدت، فأتعدى بعضهم على قبور المسلمين ونبشوها، وفر منهم من لم يجد سوى الفرار بديلاً، ومن أشهر من لاذوا بالفراربطرس الناسك وستيفن كونت بلوا (81) .

ولم يقف القادة مكتوفى الأيدى حيال خطر المجاعة، بل وضعوا حلولا للخروج من هذه الأزمة. وبدأوا بإرسال الرسل إلى الأرمن فى جبال طروس، وجاءتهم المعونة من رهبان الأرمن، وجمع عوام الأرمن والسريان واليونانيين حبوباً وسلع غذائية أخرى، وذهبوا لابتياعها فى المعسكر الصليبى، وكانوا يجنون أرباحاً طائلة من الاتجار مع الصليبيين، حتى شكا الصليبيون من مغالاتهم فى الأسعار. ومن المرجح أنهم ابتاعوا موادهم التموينية مع المحاصرين داخل أنطاكية، طالما كان يحصلون على العائد المادى والمجزى. ففى 5 أبريل 1098م استولى تانكرد على قافلة تجارية للأرمن والسريان محمله بالقمح والنبيذ والشعير والزيت وغيرها من المواد الغذائية، كانت متجهة إلى داخل أنطاكية (82) .

وفى هذا الوقت راسل الصليبيون الغرب، ولم يكن فى وسع الأوروبيين أن يقدموا المساعدة بالسرعة المطلوبة .وأما عن مساعدة الإمبراطور البيزنطى، فان الأمل فى قدومه تلاشى أو كاد، بعد رحيل مندوبه من المعسكر الصليبى فى أوائل فبراير 1098م قائلا إنه سوف يحث الإمبراطور على حمل الطعام على وجه السرعة. وفى 8 فبراير انتصر الصليبيون على جيش إسلامي على رأسه رضوان صاحب حلب، فتوافر لديهم بعض الغنائم(83).

و أثمرت مراسلاتهم عن وصول إمدادات بحرية إلى ميناء السويدية فى أوائل مارس جاءت تحمل المعونة من القرب وبيزنطة وقبرص وخرج بوهمند وريموند الصنجيلى لحمل المؤن إلى المعسكر، فاعترضتهم فرقة إسلامية، ودارت معركة فى 6 مارس، وانتصر المسلمون وفازوا بالغنائم، وفى هذه الأثناء خرجت قوات إسلامية من أنطاكية لضرب المعسكر الصليبى، فشتتوا شملهم، ولكن لم تنته المعركة حتى وصل بوهمند ومن معه ورجحوا كفة رجالهم، وعادوا فاستردوا مؤنهم من القوات الإسلامية الأخرى، الذين لم يحالفهم النجاح فى العودة سالمين داخل أنطاكية هذا فضلا عن ان بعض المساعدات كانت تأتيهم من بلدوين حاكم الرها(84).

إضافة إلي ذلك فقد شيد الصليبيون قلعتين بالقرب من أنطاكية، لتامين حركة الباحثين عن الطعام،وتم بناء القلعة الأولى فى 20 مارس، وسميت قلوة المنبر La

Mahomerie، وعرفت أيضا بقلعة ريموند، لأن الصنجيلى هو الذى تولى حراستها. وتم بناء القلعة الثانية فى أبريل وتولى تانكرد حراستها (85) وإذا كانت القلعتان قد لعبتا دوراً مهماً فى إحكام الحصار على أنطاكية، فأنهما أعطتا الفرصة للفرق الصليبية حتى تتحرك فى أمان لجمع الطعام، فلم يعودوا كسابق عهدهم خائفين من كمائن المسلمين. وما وضحه الصليبيون من حلول لمواجهة نقص الطعام، ثم إنقضاء الشتاء وحلول الربيع، خفف من حدة المجاعة .

ولما نجح الصليبيون فى الاستيلاء على أنطاكية يوم 3 يونيو 1098م تصوروا أن معاناتهم مع الطعام قد انتهت، فقد استولوا على ما فى المدينة من مؤن، وتخلصوا من المسلمين فيها، بما فيهم حاكم المدينة ياغى سيان (86)ولم ينج من القتل إلا من احتموا فى قلعتها. ثم فى يوم 5 يونيو وصل كربوغا على رأس جيشه (87)، وحاصر المدينة فى يوم 7 يونيو. وبدأت معاناة جديدة داخل أنطاكية، فقد نفدت كميات الطعام، ولم يعد منها إلا اليسير فى حوزة الأثرياء الذين اقتصدوا فى استخدامه. وتسلل اناس منهم للنجاة بأنفسهم من المجاعة أو القتل، وخرج آخرون فى مهام انتحارية للحصول على الطعام من مناطق شتى. وقد ذكر ريموند أجيل أن أحد العوام ذهب إلى قرب الرها بحثا عن الطعام، وربما فى أثناء هذه المهمة أو فى مهمة أخرى، خرج إلى المصيصة (88) لنفس الغرض، وأبحر منها إلى قبرص، ثم عاد إلى أنطاكية. وقدرت المسافة التى قطعها من أجل البحث عن الطعام بحوالى 340ميلاً. ولكن هذه المحاولات كانت محدودة، ولم تكن حاجة الجيش من الطعام(89).

ومع استمرار أزمة الطعام داخل أنطاكية، ارتفعت أسعار السلع الغذائية، واضطر الصليبيون إلى ذبح الخيول والحمير وأكلوها. ثم لجأوا إلى أكل أوراق الأشجار، وعالج بعضهم جلود الحيوانات الجافة منذ خمس وست سنوات وقاموا بطهيها وأكلها، بل أنهم أكلوا الميتة(90) .

وجاء انتصار الصليبيين على كربوغا فى 28 يونيو 1098م ليمنحهم فرصة للراحة والأمان. فقد توافر لديهم من غنائم المعركة ما عوضهم عن شهور الجوع الطويلة، إذ فر

كربوغا وجيشه مخلفا معسكره بما يحوى من خيام وأمتعة شرقية وحرير وملابس وأوانى فخمة، بالإضافة إلى ذهب وفضة وجواهر كثيرة. ووجد الصليبيون كميات وفيرة من الأطعمة والحبوب والنبيذ والطحين، واستولوا على أعداد ضخمه من الخيول والبغال والحمير والماشية والماعز والأغنام. وعادوا أغنياء بعد فقرهم، وشبعوا من بعد شهور الجوع(91).

وعقد القادة اجتماعاً فى 3 يوليو لتقرير مصير الحملة. وقد لعبت قضية تموين الحملة دور الحسم فى تحديد موعد الرحيل إلى بيت المقدس. إذ رأى اغلب القادة أن التحرك فى هذا الوقت من الصيف غير مناسب، فلا زال الجيش متعباً، ولم يأخذ أفراده قسطاً مناسباً من الراحة والغذاء، ولا زالت الخيول هزيلة من قلة الأعلاف والمجاعة التى أضرت بالجميع، وإذ رحلوا فى الصيف فسمته الجفاف، وندرة الطعام. والى جانب ذلك فان المناورات السياسية بين القادة حول ملكية أنطاكية، وموقف بيزنطة منها، كانت أيضا وراء قرار تأجيل الرحيل إلى بيت المقدس، والذى تحدد فى أول نوفمبر. وتفرق القادة كل إلى ما حازه من ممتلكات لإدارتها حتى يحين موعد الرحيل (92) .

وقد انشغل القادة خلال هذه الفترة بالسعى وراء تحقيق مكاسب على حساب الأراضي الإسلامية المجاورة فخرجت فرق متعددة من الصليبيين واستولوا على بعض القرى، والحصون القريبة من أنطاكية، وكان أشهرها البارة. كما شارك بعض الأمراء فى الصراع المحلى بين الأمراء المسلمين. وقد توافرت لديهم غنائم كثيرة من البلاد التى دخلوها، وحصدوا مؤنا وفيرة من أراضى المسلمين المجاورة، خلال عمليات السلب والنهب التى قاموا بها (93).

وبحلول نوفمبر ساور القلق عامه الصليبيين لعدم جدية القادة فى الرحيل إلى بيت المقدس. وعقد اجتماع فى 5 نوفمبر 1098 م وفى ضوء قراراته أصبح من المؤكد امتلاك بوهمند لأنطاكية على ان يصاحب الحملة إلى بيت المقدس، وأما موعد الرحيل فتقرر تأجيله. وهذه التطورات دفعت ريموند الصنجيلى للبحث مجددا عن الزعامة والمجد، فرأى ان يستغل حماس العامة، وقادهم إلى معرة النعمان (94). وحاصرها فى 28 نوفمبر، ثم تتابع وصول رفاقه لمشاركته الحصار ومع استمرار الحصار نفدت مؤن الجيش، ولم يكن ثمة مصدر للطعام

سوى سلب الأرضي المجاورة للمعسكر، فتناثر الصليبيون فيما يزيد على عشرة ألاف رجل، يبحثون عما يقتاتون به من حبوب أو غيرها، ومنهم من حفروا الأرض واستخرجوا منها جذور النباتات فأكلوها. ولم يبالوا بخطورة الدوريات الإسلامية التى كانت تطوف المنطقة، ومع وطأة الجوع اضطر بعضهم إلى مغادرة المعسكر (95) .

وعلى الرغم من نقص الطعام داخل المعسكر الصليبى، فقد نجحوا فى 11 ديسمبر 1098م من اقتحام أسوار المعرة، وارتكبوا مذبحة فى سكانها، وانتشروا فى المدينة يحصدون غنيمة انتصارهم، فنهبوا كل ما وقعت عليه أيديهم من أموال وأطعمة، وعذبوا من وقع فى أيديهم من السكان للاعتراف بأية ثروات مخبأة. بل أن فريقا منهم اندفعوا نحو بقر بطون الضحايا لاستخراج ما ابتلعوه من نقود (96) .

ومن الراجح أن ثروة المعرة ومخازن أطعمتها لم تكف الصليبيين، فما لبثت المجاعة أن ضربتهم مجدداً، حتى أكلوا جثث الموتى. وخرج ريموند الصنجيلى بحملة لجمع الطعام، وأثمرت حملته عن أسلاب وفيرة من الماشية ودواب أخرى وكميات ضخمة من الطعام،إضافة إلي أسرى من الرجال والنساء (97).

وفى 13 يناير 1099م تحرك ريموند الصنجيلى من معرة النعمان قاصداً بيت المقدس، وتتابع القادة الآخرون فى الخروج من أنطاكية، حتى لحقوا بريموند عند عرقة(98) ومع هذا التحرك تكون قد انتهت المرحلة الأنطاكية العصيبة، وقد اعتمد الصليبيون فيها على عدة مصادر للتموين، كان أهمها السلب من الأراضي والحقول المحيطة بهم، ثم المساعدات التى تلقوها سواء من بعض المسيحيين، أو من بلدوين البولونى، كما قدم الجنوية جانباً من المساعدة الغذائية، هذا إضافة إلي الغنائم التى حصدوها بعد انتصارهم فى المعارك التى دارت حول أنطاكية .

وهنا أيضا تبدأ المرحلة الأخيرة، والتى تحمل من التناقض ما يثير العجب فقد سار الصليبيون فى أراضى إسلامية، ومن الطبيعى أن يتصدى المسلمون لهم، ولكن ما جرى فعلا أن حكام أغلب المدن مروا عليها تجنبوا قتالهم واتخذوا جانب المسالمة. ثم أنه كان من المتوقع

أن تحترق الأرض من محاصيلها، وتتجرد الأشجار من أغصانها، فيعجزون عن تحصيل الطعام، وهذا أيضا لم يحدث، بل تطوع بعض حكام المسلمين بتقديم المؤن لإلهاء الصليبيين عن التعرض لممتلكاتهم .

فقد راسل ابن منقذ صاحب شيزر (99) ريموند الصنجيلى عندما أقترب من بلاده، وعرض عليه أموالاً، ووعده بألا يتعرض للصليبين بأذى، وعرض عليه أن يمدهم بما يحتاجونه من مؤن وخيل. ويبدو أن الكونت قبل ما عرضه صاحب شيزر، ولكنه أثناء مروره اقترب من شيزر، فتخوف ابن منقذ من عذره، وأرسل إليه يهدده بقطع إمداده بالمؤن إذا لم يبتعد عن المدينة. وبعث إليه رجلين يرشدانه إلى وادى نهر العاصى وثرواته الطبيعية. وهناك وجد الصليبيون فرصتهم فى السلب، فاستولوا على أكثر من خمسة ألاف رأس من الغنم، إضافة إلي حبوب وسلع غذائية أخرى. وحقق بعضهم ثروات استخدمها فى شراء خيول من شيزر وحمص (100). وصادف الصليبيون قلعة تحمى هذه المنطقة، فوادعهم صاحبها، وقدم لهم الجياد والمؤن، ثم وصلوا إلى قلعة مصايف، وعقد صاحبها اتفاقا مماثلا لاتفاق صاحب القلعة السابقة (101) .

ووصل الصليبيون رفنية (102)، فوجدوا سكانها قد هجروها، وكانت بساتينها عامرة بالمحاصيل، وبيوتها مكتظة بالأقوات، وأقاموا بها ثلاثة أيام، ثم رحلوا عنها فى 25 يناير 1099م وكان طريقهم حتى حصن الأكراد (103)عامراً بالمؤن من الحبوب والماشية. وقد أغراهم ثراء هذا الإقليم للاستيلاء على هذا الحصن، وحاصروه فى 28 يناير، وفى مفاجأة غير متوقعة للصليبين، فتح أصحاب الحصن أبوابه فاندفعت قطعان من الماشية والخيول والأغنام، فترك الصليبيون ساحة القتال، وانصرفوا يسوقون هذه الغنائم. وفى اليوم التالى وجدوا الحصن خاليا من سكانه، والراجح أن هؤلاء السكان لجأوا إلى هذه الحيلة للنجاة بأنفسهم، فوجد الصليبيون وفرة من الحبوب والنبيذ والدقيق والزيت والدجاج وغيرها من المواد الغذائية، واستمرت إقامتهم بهذا الحصن ثلاثة أسابيع (104) .

وفى هذه الفترة استقبل ريموند رسل ابن ملاعب صاحب حمص، وقبل هداياهم من

الذهب والخيول، وطلبوا موادعة الصليبيين على أن يغمرهم بالكرم. وكما أرسل فخر الملك أبو الحسن على بن عمار صاحب طرابلس مبعوثيه، ومعهم هدايا من الجياد والبغال والأموال، وطلبوا عقد اتفاق سلام مع الصليبيين. وأبدى فيه ابن عمار استعداده لتقديم المساعدات اللازمة لهم عند مرورهم على بلاده. وذهب وفد من الصليبيين إلى طرابلس لإتمام الاتفاق، والمؤكد أن ثراء طرابلس أسال لعاب الرسل، فاقنعوا ريموند بالضغط على صاحب طرابلس للحصول على أكبر فائدة من بلاده. وكانت الخطة هى حصار عرقة التابعة لصاحب طرابلس (105).

وبدا حصار عرقة فى 14 فبراير وكان ريموند يعلم انه سوف يعتمد على السلب لتوفير الطعام لجنده، فأرسل فرقة استكشافية للمنطقة، وصادفوا بعض المسلمين، وقتلوا منهم ستة أنفس، واستولوا على ستة جياد. وخرجت فرقة أخرى قاصدة طرطوس (106)، وفر سكانها تاركين المدينة بما فيها من مؤن وأمتعة، إضافة إلي قيمتها كميناء بحرى. وتابعت الفرقة الصليبية زحفها إلى الشمال، ولما وصلوا مرقية (107)، أعترف لهم أميرها بسيادتهم على مدينته .وفى نهاية فبراير كان قد تحرك باقى الجيش الصليبى من أنطاكية وعلى رأسهم جود فرى وكونت فلاندرز وأما بوهمند فقد تخلف عنهم وعاد من اللاذقية إلى أنطاكية. ووصلوا جبلة (108) أول مارس أخر فحاصروها، ووصلتهم رسالة من ريموند تستعجلهم المسير لمشاركته حصار عرقة، فى الوقت الذى تلقوا فيه عرضا مغريا من صاحب جبله، الذى عرض عليهم الأموال والجياد مقابل انسحابهم، فرفعوا الحصار عنها ورحلوا فى 12 مارس، ووصلوا عرقة ليشاركوا ريموند فى حصارها(109).

وأثناء حصار عرقة لم تتوقف حملات البحث عن الطعام فى الأودية والحقول المجاورة للمعسكر. وفى إحدى الحملات استولت فرقة صليبية على قطعان كثيرة من الماشية والحمير والأغنام وانعام أخرى كثرية. وقد شجعهم نجاحهم هذا على متابعة البحث، فعثروا على ثلاثة آلاف بعير، وعادوا بأسلابهم إلى المعسكر (110).

وقد نجح الصليبيون إلى حد كبير فى التخطيط لخط سير حملتهم، وذلك عندما قرروا

من قبل أن يكونوا بالقرب من ساحل البحر المتوسط، ليكونوا على اتصال بالسفن الأوربية والبيزنطية التى تمدهم بالمؤن، ثم نجحوا فى ضم طرطوس ومرقبه، كما ذكرنا انفا، إضافة إلي اللاذقية والسويدية. وظهرت أهمية ذلك أثناء حصار عرقة وما بعده، فقد أتيحت الفرصة للسفن البيزنطية والجنوية والبندقية والانجليزية للرسو على هذه الموانى، وتقديم المؤن للصليبين من حبوب ونبيذ ولحوم وزيت وشعير وجبن، كما فتحت أمامهم أبواب الالتقاء مع الغرب(111).

وطوال مدة حصار عرقة كانت عمليات السلب مستمرة، حتى أن بعض الفرق الصليبية وصلت إلى طرابلس، وجلبت الطعام. ونتيجة لهذه التهديدات المستمرة، فان قادة المدن الواقعة تحت طائلة التهديد راسلوا الصليبيين لشراء مسالمتهم. فأرسل صاحب جبله الأموال والخيول والبغال، مع كميات كبيرة من النبيذ لاستمرار الموادعة معه. وأرسل صاحب طرابلس هداياه وعرض على الصليبيين عرضا سخيا مقابل الرحيل عن عرقة، فعرض تقديم خمسة عشر ألف قطعة ذهبيه، وخيول وبغال وملابس ومؤن، علاوة على سوق عامة مفتوحة، ورد الأسرى الصليبيين المحتجزين عنده (112) .

و عقد القادة اجتماعا للنظر فى الأمر، وهنا نجد أن قضية تموين الحملة لعبت دور الحسم فى قرار القادة، فإن الربيع هو موسم جنى المحاصيل، ولا يجب ان يتركوا هذه الفرصة، فالرحيل فى هذا الوقت سوف يوفر لهم الطعام أثناء رحلتهم. وعلى هذا الأساس أتخذ الأمراء قرارهم بالرحيل عن عرقة، واضعين فى الاعتبار عرض صاحب طرابلس السخى، وعدم جدوى الانتظار أكثر من اللازم أمام مدينة صغيرة كعرقة (113).

واتجهت الحملة نحو الطريق الساحلى، فبلغوا طرابلس فى 13 مايو 1099م آخر وتم تنفيذ ما اتفقوا عليه مع صاحبها، فأطلق سراح ثلاثمائة أسير، وأعطاهم خمسة عشر ألف قطعة ذهبيه، وخمسة عشر حصاناً، وكميات كبيرة من المؤن، وعدداً من الحمير. وغادروا طرابلس فى 16 مايو، وتركوا جبيل التابعة لطرابلس ثم قدم لهم ابن عمار قطعانا من الماشية والأغنام، وكميات كبيرة من الطعام، حتى لا يحملهم الجوع على نهب مزارع فلاحيه (114).

وتجدر الإشارة هنا إلى ما تبقى للصليبين فى رحلتهم حتى بيت المقدس لم يكن ثمة مشكلة فيما يخص الطعام. فقد لعبت الأساطيل الغربية دوراً مهماً فى تقديم المساعدة كلما تيسر لهم تقديمها. وأما المدن الإسلامية التى مروا عليها فقد نهج أصحابها نهج صاحب طرابلس، فاشتروا مسالمة الصليبيين بما قدموه من أطعمة وأموال وهدايا أخرى. فحصل الصليبيون على كميات كبيرة من الطعام من بيروت وقدم لهم أهل عكا هدايا قيمة، وعقدوا لهم سوقا، وزادوا فى إكرامهم. ثم أنهم اعتمدوا على السلب والنهب عندما كانت تمتنع إحدى المدن عن تقديم الطعام إليهم، فنهبوا مزارع صيدا، واستولوا على أغنام وماشية كثيرة، كما نهبوا بساتين صور (115).

ولما وصلوا الرملة (116)فى 3 يونيو وجدوها خالية من السكان، وبها وفرة من الغلال، وحقولها عامرة فحصدوا الحقول، وحملوا الغلال معهم إلى بيت المقدس. واستولوا فى طريقهم على قطعان من الماشية والأغنام (117)

و أخيرا وصل الصليبيون إلى بيت المقدس يوم الثلاثاء 7 يونيو 1099م وحاصروها. وكان من المتوقع أن يعانوا من الجوع والعطش لو طال الحصار فقد نفذ ما حملوه معهم من طعام،و لم يبق إلا القليل من الشعير، وطوال عشرة الأيام الأولى من الحصار وهم يعتمدون على السلب من المناطق المجاورة. ولكن كمائن المسلمين كانت نشيطة فى التربص بالشاردين من المعسكر الصليبى، ونجحوا فى إخفاء انعامهم بعيدا عن أيدى الصليبيين، علاوة على نجاحهم فى إفساد مصادر المياه القريبة من المدينة، حتى أن الصليبيين كانوا يسيرون ما يقرب من ستة أميال للحصول على المياه، ويحملونها فى أوعية مصنوعة. من جلود الحيوانات. ومع شدة حرارة الصيف، والرياح المتربة زادت حاجتهم إلى المياة فارتفعت أثمانها، ولم يبالوا بنظافتها (118)

وهكذا كانت حالتهم، قلة فى الخبز، وندرة فى المياه. ثم فى يوم 17 يونيو وصل أسطول جنوى مكون من ست سفن، وأرسلوا إلى الصليبيين يطلبون منهم قوة لحمايتهم، وحمل ما معهم من مؤن وأسلحة. وخرجت فرقة صليبية نحو يافا، واعترضتهم فرقة إسلامية،

فانتصروا عليها، ثم انتصروا على فرقة إسلامية أخرى، ولكنهم خسروا خمس سفن من الأسطول بعد أن تمكنوا من إفراغ المؤن والأسلحة منها، وعادوا بها إلى المعسكر أمام بيت المقدس. وقد جاءتهم هذه المؤن فى وقت بالغ الأهمية، لذا فقد لقى البحارة حفاوة كبيرة. وما جاءهم عن طريق البحر من مؤن وأسلحة، شجعهم على مواصلة الحصار بقوة حتى سقطت المدينة فى 15 يوليو 1099م (119) .

ومن هنا نجد أن المصدر الاساسى لطعام الصليبيين فى هذه المرحلة هو هدايا الحكام المسلمين الذين اختاروا مسالمة الحملة. والمصدر الثانى تمثل فى سلب ونهب الأراضي التى عبروها ولم يوادعهم حكامها. وأخيرا فقد أمدتهم السفن الجنوية والبندقية والإنجليزية والبيزنطية بالمؤن الضرورية .

و تخلص من هذه الدراسة بعدة نتائج، أن تموين الحملة شغل بال الصليبيين وأعدوا له عدة، ومع أن البابا أوربان الثاني قدم مشروعاً بابوياً، إلا أنه ناقش مسألة توفير الطعام للحملة مع بعض الأمراء. وقد ثبتت صحة الغرض الذى طرح فى البداية، وهو أن الصليبيين اعتمدوا على بيزنطة اعتماداً كبيراً فى تقديم المؤن وإذا كان من المتوقع أن يتوقف دور بيزنطة عند نقطة معينة، ربما تكون عند مشارف بلاد الشام، فإن الجنوية كقوة بحرية طرحت كبديل عن الدور البيزنطى فيما تبقى من مسافة إلى بيت المقدس .

و كانت قضية توفير المؤن وراء القرار الذى اتخذه الأمراء بالتحرك فى طرق مختلفة. لأنهم أدركوا صعوبة توفير الطعام إذا هم تحركوا فى جماعة واحدة، أو إذا سار بعضهم فى أثر بعض على طريق واحد. فساعتها لن تستطيع البلدان التى سيمرون عليها أن تلبى حاجة هذه الجيوش من الطعام .

واعتمد الصليبيون على الشراء من الأسواق المفتوحة فى بلاد المجر وأقاليم الدولة البيزنطية فى البلقان. وحسب اتفاقية القسطنطينية التى جرت بين الإمبراطور البيزنطى والأمراء، كان على بيزنطة ان توفر الطعام للصليبيين، سواء فى البر أو البحر، واستمر الإمبراطور على دعمه للصليبيين حتى بعد نيقية بمسيرة ثلاثة أيام .

وكان طعام الصليبيين فيما تبقى من الرحلة رهن ظروف الطريق، فاعتمدوا على السلب والنهب كمصدر اساسى حتى وصلوا. أنطاكية وفيما بعدها. والواقع انهم لم يكفوا عن السلب منذ خروجهم من غرب أوربا، ولكن ما جرى من سلب فى الأرضي المجرية والبيزنطية كان أغلبه من فعل العوام، وفى أوقات انفلات النظام تحت ضغط الجوع أو كراهية البيزنطيين .وأما عمليات السلب بعد ذلك، وخاصة أثناء حصار أنطاكية وفيما بعدها، فكانت منظمة، تخرج فيها فرق مسلحة، وفى مناطق متعددة، وأحيانا تخرج جيوش كبيرة لسلب الطعام من المناطق المحيطة بالمعسكر الصليبى، بل وتذهب إلى أبعد من ذلك. وعليه فإن السلب كان مصدراً للطعام فى كل مراحل الحملة، وقد خلف هذا السلوك عداء الشعوب التى مروا عليها .

وكانت الهدايا أيضا مصدرا من مصادر طعام الحملة، قدمها لهم بعض المسيحيين الشرقيين قبيل وصولهم أنطاكية، وأثناء حصارها، وخاصة من الأرمن والسريان والإغريق، علاوة على هدايا بعض حكام المسلمين الذين فزعوا من جرائم الصليبيين .

وأما المساعدة البحرية، فقد أصبحت مصدراً لتموين الحملة بعد وصول الجنوية ميناء السويدية أثناء حصار أنطاكية وشاركت أساطيل أخرى بندقية وبيزنطة وانجليزية فى تقديم المؤن، وقد ساعدهم على أداء مهامهم نجاح الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المراكز البحرية مثل اللاذقية وطرطوس، علاوة على اتخاذهم الطريق الموازى لساحل البحر المتوسط بداية من طرابلس وحتى الرملة فى فلسطين .

وأخيرا، فان قضية التموين كانت وراء اتخاذ قرارات مصيرية بالنسبة للحملة، كقرار تقسيم الجيش إلى فريقين قبل معركة دوريليوم، وقرار الخروج من أنطاكية لقتال كربوغا، وقرار تأجيل مغادرة أنطاكية حتى انتهاء الصيف وحلول موسم الحصاد، وغيرها.

الهوامش

1- Chalandon, Histoire de la Premiere Croisade, Paris, 1907,I ,pp.19-21 .

2- Duncalf, F., The Pope's Plan For The First Crusade, in The Crusades and Other Historical essays, ed.L.J PaeTow, New York,1928, p.44.

3- Baldric of Dol, Historia Jerosolimitana, in Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux (R.H. C.occ.) ,Paris 1844-1895,t. IV pp.12-15.

-Robert The Monk, Historia Iherosolym-itana, in R.H.C.Occ.,t. III, pp.727-730

-Guibert of Nogent, Gesta Dei per Francos, in R.H.C.O cc,t. IV, pp137-140 .

- فولشر الشارتری، تاريخ الحمله الى بيت المقدس، ترجمة قاسم عبده قاسم، الكويت 1993 م، ص 89-94.

-المؤرخ المجهول، اعمال الفرنجه وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، 1958 م،ص 17-18.

– تود يبود، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطيه، الاسكندرية، 1998 م، ص 61 .

– وليم الصورى، الحروب الصليبية، ترجمية حسن حبشى، القاهرة، 1991 م، ح1، ص 99-105 .

4- إسحق عبيد، روما وبيزنطه، القاهرة، 1970 م، ص 83 .

5- Dana C. Munro, Thspeach Of pope Urban II at Clermont, 1095, in American Historica Review, (A.H.R), vol. 11, New York, 1906 pp. 236,237,238.

6- المؤرخ المجهول، المصر السابق، ص 17.

-فولشر، المصدر السابق، ص 94.

-تود يبود، المصدر السابق، ص 61.

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح 1، ص 108 .

7- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العرينى، ط 3، بيروت، 1993 م، ح 1، ص 173-174 .

وللمزيد عن ادهيمار أنظر :

-Brundage, J.A, Adhemar of puy :The Bishop and His Critics, in Speculum , vol .34, No 2, Apr .1959, p. 201-212.

8 - Munro, Op.Cit, p 237 .

9-عن هذه الخطابات انظر قاسم عبده قاسم، الخلفية الايديولوجيه للحروب الصليبية، دار عين بالقاهرة، 1999، ص 189-191.

10 - Krey ,A.C., Urban's Crusade – Success Or Failure, in A.H.R, vil, 1948 p.237 .

- وريموند سان جيل او الصجيلى كما لقبه المؤرخون العرب، هو ريموند الرابع كونت تولوز وبروفاش (1088م1105م) شارك فى حرب المسلمين فى إسبانيا، ثم اعلن مشاركته فى الحمله الصليبية على الشرق، رنسيمان المرجع السابق، ح1، ص 243-244 .

11- Caffaro de Caschifelone, De liberatione Civitatum Orientis Liber in B.H.C.Occ, vol V, Paris, 1895, p.48.

12- قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 44، حاثية 62 .

13- رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص .177

14- فولشر، المصدر السابق، ص 99.

وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 110-111.

15- Runciman, The First Crusaders' Journey, Across The Ballcan Openinsula, in Byzantion, Bruxelles, 19, 1949,

p.220 .

16- Krey, A.C, The Fiest Crusade ,The Accounts Of Eye – Writnesses and Particpants, London, 1921, pp.18-19.

17- ريلى سميث، الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية، ت. محمد فتحى الشاعر، القاهرة، 1993، ص 43، 50-53، 59.

- قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 149-150.

- وبطرس الناسك راهب ولد فى اميان شمالى فرنسا، وكان انشط دعاة الحرب الصليبية بين العوام. رنسيمان، المرجع السابق، ح1،ص179.

- جود فرى البوبونى، ولد حوالى سنة 1060 كيوستاس الثانى كونت بولونيا، وتولى دوقية اللورين السفلى سنة 1082، وشارك فى الحملة الصليبية بعد ذلك رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 224

18- Guibert Of Nogent , op. cit , p.

19- فولشر، المصدر السابق، ص 100 .

20- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 110-111 .

21 - Guibert Of Nogent ,Op. cit< p142.

– انا كومنينا، اناسياد، ت. حسن حبشى، القاهرة، 2004، ص 3

22- اقترح ريلى سميث تقسيم الطريق إلى ثلاث مراحل، المرجع السابق، ص 70-75 .

23- Krey, The First Crusade,p.19. - Dancalf, F, The Oeasants' Crusade, in A.H.R. Vol 26, No3 (Apr.1921), pp.441-2.

24 - Runciman, The First Crusaders ' Journey, p.209.

25-Duncalf, The Peasants ' Crusade, P. 442.

- Porges, W,The Clergy The Poor and The non – Combtants On The First Crusade, in Speculum, vol. 21, jan. 1946, p.3 .

26- أحد دعاة الحرب الصليبية، وصفه وليم الصورى بانه شريف المولد ومحارب، وقاد

جماعة من العوام إلى القبر المقدس . ح 1، ص 112-113 .

27- Albert of Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C.O cc, IV, p.274.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1 ص 112 -113.

28 - Albert of Aix, OP.cit, p. 276

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 115، 116.

-والتر أحد دعاة الحرب الصليبية، وصفه وليم الصورى بأنه شريف المولد ومحارب.

29 - Albert of Aix, OP.cit, p. 291.

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 131، 132 وما بعدها .

30- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 134، 138.

-Duncalf, The First Crusade: Clermont To Constantinople, in Setton, A History of The Crusades, Wisconsin, 1969, I, pp .261-2.

31- رنسيمان، المرجع السابق،ح 1، ص 227.

و كان هنرى الرابع إمبراطور المانيا (1056م/1105) فى صراع شديد على البابوية فيما سمى بالصراع بين الإمبراطورية والبابوية، انظر سعيد عاشور، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، ط 7، القاهرة 1978 م، ح 1، ص 338 وما بعدها

32- بلدوين هذا الذى اسس امارة الرها الصليبية 1097 م، ثم أصبح ملكا لبيت المقدس 1100-1118. فولشر، المصدر السابق، ص 117، 173.

33- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 145، 146، 150 رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 227- 228 وحدد Hagenmeyer خروج جودفرى 15 أغسطس، ووصوله إلي المجر 20 سبتمبر .

-Hagenmeyer, H., Chronologie de la Premiere Croisade, in Revue de L'orient Latin , Paris , 1898, VI, pp. 248, 250

34- رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 184-185 ريلى سميث، المرجع السابق، ص 58- 59

35- انا كومنينا، المصدر السابق، ص 393، 403، .404

36- Albert of Aix, OP.cit, pp. 276-276

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 113-115.

-Hagenmeyer ,Op.cit,p.244

- حدد رنسيمان (ج1، ص192) تاريخ وصول والتر القسطنطينية فى منتصف يوليو.

37- رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 185 .

38- Duncalf, The Peasants' Crussde,p.444.

39- Albert of Aix, OP.cit , p.278.

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 117، 119، 120 وحدد Hagenmeyer (Op.cit,p.241) تاريخ مغادرة المجر والوصول إلى نيش فى 27 يونيو حتى 2 يوليو

40- Albert Of Aix, op .cit , p.283

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 123

-Hagenmeyer ,Op.cit,p.243.

41-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 19

-تود بيود، المصدر السابق، ص 62

- Albert of Aix, OP.cit , p.283.

- Hagenmeyer,Op.cit,pp.245, 246.

42- نيقية قاعدة سلاجقة الروم، وتقع على طريق آسيا الصغرى الغربى، قريبة من مضيق البسفور الذى يفصلها عن القسطنطينية

ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، 1977، ح 5، ص 333.

43- قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش، سلطان سلاجقة الروم، وتوفى عام 55هـ /

1107م – ابـن الاثـير الكامـل فى التـاريخ، دار الكتـاب العـربى، بـيروت، د ت، ح 8، ص 186، 241

44- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 19-20

- تود يبود، المصدر السابق، ص 62-63 .

-Albert of Aix , OP.cit , p.284

- انا كومنينا، المصدر السابق، ص 393-392 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح 1، ص 125-126 .

45- Duncalf, The Peasants' Crussde,p.451.

46- هيوكونت فرماندو (1060- 1108م) هو الابن الأصغر لهنرى الاول ملك فرنسا، شارك فى هذه الحملة وهو فى سن الاربعين. رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 219 .

47- انا كومنينا، المصدر السابق، ص 394 .

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 23 .

-توديبود، المصدر السابق، ص

-فولشر، المصدر السابق، ص 100 .

-وليم الصورى، المصدر السابق ت، ح1، ص.154

48- Albert of Aix , OP .cit , pp.303-305.

4 9- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 154-155 .

- Hagenmeyer ,Op.cit,pp. 264.

-Runciman, The First Crusader: Constantinople To Antioch ,in Setton ,I,p.285 .

50- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 24-25 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 75-76 .

- Albert of Aix , OP.cit , pp.305-311.

51- بوهمند بن روبرت جويسكارد، نورمان صقلية، وأصبح أميرا لأنطاكية الصليبية، وتوفى عام 1111م /505هـ. رنسيمان، المرجع السابق ح1، ص 236 .

52- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 26، 28، 29 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 77، 78 .

-انا كومنينا، المصدر السابق، ص 406-409 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 170، 171، 172، 173 <

53- Hagenmeyer ,Op.cit, pp. 273, 274, 277, 281.

وحددها فيمير وصول بوهمند إلى القسطنطينية فى 10 أبريل.

54- ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطيه، الإسكندرية، 1989، ص 59، 60، 69.

-تود يبورد، المصدر السابق، ص 79، 80

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح 1، ص 177، 178، 179، 180، 181

-رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 245

55- روبرت كونت نورماندى، المعروف بروبرت كورثوس، هو الابن الأكبر لوليم الفاتح ملك انجلتر. رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص 250.

-وستيفن هذا كونت بلوا وشارتر، وشارك فى الحملة، وعادو إلى الغرب أثناء حصار أنطاكية، ثم شارك فى حملة 1101 م، وقتل فى معركة الرملة عام 1102م. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، والإسكندرية، ص 215، ح1 .

– وروبرت كونت فلاندرز هو ابن روبرت الأول كونت فلاندرز، وكان أمير للاراضى الواطئه. شارك فى الحملة الصليبية وعاد بعد دخول بيت المقدس عام 1099 م. جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 215، أميراً .

56- فولشر، المصدر السابق، ص 104، 106

وليم الصورى، المصدر السابق، ح1 ن ص 175، 176، 189، 190، 191

-Hagenmeyer ,Op.cit,pp. 262, 263, 276, 283, 284,288.

57- Krey, Urban's Crusade- Success or Failure, pp.237

- Duncalf, The Pope's Plan,p.47.

- Archer, T.A and Kingsford, ch.L., The Crusades, London, 1902, p.53

-باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، ط 4، بيروت ن 1967، ص 29-30.

-جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص 132 .

58- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 31 .

تودبيود، المصدر السابق، ص 76 .

وأشار المؤرخ السريانى المجهول إلى هذه الاتفاقية.

- Anonymous Syriac Chronicle, Trans. To English by A.S Tritton ,in Journal of The Royal Asiatic Society, London, 1933, I,p.69 .

وأشار ابن الأثير إلى ما وقع بين الإمبراطور والأمراء من خلاف فى القسطنطينية، المصدر السابق ح 8، ص 186.

59- Letter of Stephen of Blois To his Wife Adele (March 29-1098). in Krey, The first C rusade, p.109 .

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 33.

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 175.

60- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 79 .

-وأشار المؤرخ المجهول (ص379 وتوديبور (ص 111) إلى موت كثير من الصليبيين جوعا اثناء الحصار.

-فولشر، المصدر السابق، ص 109، 110، 111 .

-انا كومنينا، المصدر السابق، ص 422 .

- Albert of Aix , OP.cit , p.321.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 205، 219، 220.

61- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص .79

62- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 40-41 .

-توديبور، المصدر السابق، ص 112-114.

- Albert of Aix , OP.cit , pp.328-329.

-اناكومنينا، المصدر السابق، ص 424

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص222، 226، 227

– ودويرنيوم تقع بالقرب من اسكى شهر الحاليه فى تركيا. توديبود، المصدر السابق، ص 123 ح 10 .

63- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 41 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 114 .

-فولشر، المصدر السابق، 114 .

- Albert of Aix , OP.cit , pp.329-332.

وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 227، .228

64- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 43-44.

-توديبود، المصدر السابق، ص 115، 116.

-فولشر، المصدر السابق، ص 115، 116.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 229، 230، 231، 234 .

65- قونية من أعظم مدن الإسلام بالروم، ياقوت، المصدر السابق، ح4، ص 415

– هرقلة مدينة ببلاد الروم. ياقوت، المصدر السابق، ح5، ص398 .

66- قيصرية ذكرها ياقوت قيسارية، وقال هى مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم، وهى كرسى ملك بنى سلجوق. المصدر السابق، ح4، ص 421.

67- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 48 .

obeikandl.com

-توديبود، المصدر السابق، ص 119.

- Baldric of Dol , op. cit, pp. 38, 39

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 265..

68- مرعش مدينة فى الثغور، بين الشام وبلاد الروم، ياقوت، المصدر السابق، ح5، ص 107.

69- الرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. ياقوت، المصدر السابق ح 3، ص106.

70- Matthieu d'Edesse, Op. cit , p. 33

–المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 48 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 119.

- Baldric of Dol , op. cit, pp. 38, 39

71- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 266.

Knappen, M.M, Robert II of Flanders in The first Crusade, in The Crusades and Other Historical Essays, p.88

-ارتاح حصن منيع من أعمال حلب .ياقوت، المصدر السابق، ح1 ص 140-141 .

72- توديبود، المصدر السابق، ح1، ص140 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص58..

73- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص70 .

-Hagenmeyer, op. cit, p.514.

74- ريموند أجل، المصدر السابق، ص 86 .

- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 50 .

- توديبود، المصدر السابق، ص 135 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 284 .

75 - Caffaro , op.cit , p.50.

-ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 87 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 316.

– والسويدية أوسان سيمون مدينة ساحلية عند مصب نهر العاصى. ريموند اجيل، نفسه، ص 94، ح .7

76– ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (500-110م)، ت. أحمد محمد عيسى، القاهرة بدون تاريخ، ص 382 .

– هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة احمد محمود رضا، القاهرة، 1985، ح1، ص 147 .

77- Letter of Anselm of Ribemont to Manasses II, Archbishop of Reims, (feb. 10, 1098), in dana C. Munro, Letters of the Crusades, Philadelphia, 1896, pp. 3-4

– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص49 .

– توديبود، المصدر السابق، ص 135 .

– فولشر، المصدر السابق، ص 123 .

78 - Letter of Anselm of Ribemont to Manasses II, (july, 1098), in Krey The first. Crusades, p.158.

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص51-52.

-توديبود، المصدر السابق، ص 136-137.

-ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 88-90.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 291-292، 294-296 .

-ابن العديم، زبدة الحلب فى تاريخ حلب، نشرة خليل المنصور، بيروت، 1996، ص 237-238 .

-ودقاق بن تتش بن ألب ارسلان السلجوقى، تولى حكم دمشق بعد مقتل أبيه ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دمشق، 1995، ج 17، ص 304.

– وأما البارة، فهى بلدة من نواحي حلب، ياقوت، المصدر السابق، ح1، ص 320 .

79 - Letter of Anselm , (july ,1098) , in Krey op. cit, p.158.

80– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 54 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 138 .

_ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 90 .

-فولشر، المصدر السابق، ص 224-225 .

– وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 292-293، 297، 299-300 .

-81–ريموند أجيل، المصدر السابق، ح1 ص، 91.

- Brundage, op.cit, p.201.

82– ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 107، 108.

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 55، 56-57 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 139، 140-141 .

– فولشر، المصدر السابق، ص .126

83– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 54– 55،65 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 138-139، 170.

- Matthieu d'Edesse, Op. cit , pp. 33-34.

84– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 56.

-توديبود، المصدر السابق، ص 140.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 298، 299.

-ابن العديم، المصدر السابق، ص 238 .

- Runciman, The first Crusade: Antioch To Ascalon In Setton, I, pp. 312-313

– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، القاهرة، 2002، ح 1، ص 175-176.

-ورضوان بن تتش من ألب ارسلان، حكم حلب بعد مقتل أبيه . ابن عساكر، المصدر السابق، ح 18، ص 153.

85- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 105-107 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 316 – 324، 329- .330

86- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 109، 116 حاشية 14 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 285 .

- رنسيمان، المرجع السابق / ح1، ص .342

87- ياغى سيان حاكم أنطاكية من قبل السلطان السلجوقى بركياروق، قتله بعض الأرمن أثناء حروبه من أنطاكية، ابن الأثير، المصدر السابق، ح8 ص 186.

88- كربوغا اتابك الموصل، خرج بحملة لانقاذ أنطاكية، ولكنه وصل متأخرا ابن الأثير، المصدر السابق، ح8، ص .187

89- المصيصة مدينة على شاطئ جيحان، من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم. ياقوت، المصدر السابق، ح5، ص 114-145 .

90- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 120، 127، 129، 130 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 205 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 359، 360-361، 381-387 .

- ريلى سميث، المرجع السابق، ص 74 .

91- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 141 .

- توديبود، المصدر السابق، ص 224-225.

- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 80، 84، 85، 86 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 369 .

- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، نشرة مكتبة المتنبى بالقاهرة بدون تاريخ، ص 136 .

- Anonymous Syriac Chronicle, op.cit, p.72 .

- ميخائيل السريانى، تاريخ ميخائيل السريانى، عربه من السريانية غريغوريوس صليبيا شمعون، حلب، 1996، ح3، ص 153 .

_ابن الأثير، المصدر السابق، ح 8، ص 187.

-ابن العديم، ص 240، 241 .

-ابن العبرى، تاريخ الزمان، ترجمة عن السريانية إسحق أرملة، بيروت، 1986، ص 124 .

92- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 94-95 – توديبود، المصدر السابق، ص 231 .

-ريموند اجيل، المصدر السابق،ص 146-147 – فولشر المصدر السابق، ص 136- 137، 142.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح1، ص 416 .

93- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 98. أخطأأحسن حبشى، إذ جعل موعد الرحيل الذى حدد القادة نهاية شهر نوفمبر

-تودديبود، المصدر السابق ص، 255 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، القاهرة، 1992، ح2، ص 20-.21

94-توديبود، المصدر السابق، ص 256 .

- ريموند داجيل، المصدر السابق، ص 155، 156، 163.

- ابن العديم، المصدر السابق، ص 243، 244.

- سعيد عاشور، المرجع السابق، ح1، ص .180

95- معرة النعمان مدينة كبيرة وقديمة من أعمال حمص، تقع بين حلب وحماة. ياقوت، المصدر السابق، ح5، ص 156.

96- توديبود، المصدر السابق، ص 260.

ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 166 .

- Radulph of Caen, Gesta Tancredi in expiditione Hierosolymitana, in R.H.C.Occ, paris , 1868,III, p. 651 .

97- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 106 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 262.

-ريموند أجيل، المصدر السابق، ص 169.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح 2، ص 36، 40.

-ابن القلانسى، المصدر السابق، ص 136 .

-ابن الاثير، المصدر السابق، ح8، ص 187.

- ابن العديم، المصدر السابق، ص .244

98- ريموند أجيل ن المصدر السابق، ص171، 172، 181 .

- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 106 .

- توديبود، المصدر السابق، ص 263 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح 2، ص 41-42 .

99-عرقة بلد فى شرق طرابلس، بينهما أربعة فراسخ. ياقوت، المصدر السابق، ح4، ص 109.

100- هو عز الدين أبو العساكر سلطان بن منقذ، ولو، وتولى امرة شيرر بعد أخيه نصر، وكانت وفاته 1148م،ت ابن عساكر السابق، ح 21، ص 369.

-وأما شيزر فهى قلعة قيربة من المعرة وبينها وبين حماة يوم. ياقوت المصدر السابق، ح3، ص 383 .

101-- حمص مدينة كبيرة فى نصف الطريق بين حلب ودمشق .ياقوت، المصدر السابق، ح2، ص .302

102- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 107، 108 .

- توديبور، المصدر السابق،ص 289 .

obeikandl.com

- ريموند أجيل، المصدر السابق، ص 181، 182 .
- Radulf of Caen ,Op.cit, p.680 .
- وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص43.
- ابن الاثير، المصدر السابق، ح8، ص 188.
- ولم يذكر احد المؤرخين اسم أو موقع القلعة الأولى. وأما مصياف فهو حصن قرب طرابلس. ياقوت المصدر السابق، ح5، ص .144

103- رفنية كورة ومدينة من أعمال حمص، وقيل انها بلدة عند طرابلس من سواحل الشام، والأول اصح. ياقوت، المصدر السابق / ح3، ص55 .

104- حصن الأكراد يقع على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب، وهو المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص. ياقوت، المصدر السابق، ح2، ص.264

105 -المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 108، .109

106- توديبود، المصدر السابق، ص290.

-ريموند أجيل، المصدر السابق، ص 183، 184، 185.

- رنسيمان، المرجع السابق، ح1، ص402.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، 43 .

107توديبود، المصدر السابق، ص290.

ابن الأثير، المصدر السابق، ح8، 188.

- Grousset, Histoire des Croisades, paris , 1943 , I, p.133.

وصاحب حمص هو جناح الدولة حسين بن ملاعب، قتل سنة 496هـ. ابن العديم، المصدر السابق، ص 247 .

- وأما صاحب طرابلس فهو جلال الملك أبو الحسن على بن محمد بن عمار، توفى عام 1099م، وخلفه أخوه أبو على فخر الملك. سعيد عاشور، المرجع السابق، ح1، ص .186

108- طرطوس أو انطرطوس بلد على ساحل البحر من أعمال طرابلس، بينها وبين عرقة ثمانية فراسخ. ياقوت، المصدر السابق، ح1، ص 270.

109-مرقية قرية حصينة فى سواحل حمص. ياقوت، المصدر السابق، ح5 ص 109.

110- جبلة قلعة على ساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت، المصدر السابق، ح2، 105 – وصاحب جبلة فى هذا الوقت هو عبيدالله بن منصور المعروف بابن صليحة. ابن الأثير، المصدر السابق، ح8 ص 199 .

111- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 110، 111 .

-توديبود، المصدر السابق، ص 291، 292 .

- Albert of Aix ,op. cit, p.456 .

- Radulf of Caen, op.cit, p.681 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص 46، 48 .

112-توديبود، المصدر السابق، ص 292 .

- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص112..

113- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 186، 224 .

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 11.

-توديبود، المصدر السابق، ص 292 -293 .

- وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص43..

114-ريموند أجيل، المصدر السابق، ص189، 216 .

- Albert of Aix ,op. cit, p.457

115- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 112- 113.

-توديبود، المصدر السابق، ص 293 .

- فولشر، المصدر السابق، ص .

116- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص113.

-توديبود، المصدر السابق، ص 293.

– وليم الصورى، المصدر السابق، ح 2، ص.62

117– ريموند أجيل، المصدر السابق، ص 224.

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص 63، 64، 65 .

- Aadulf of Caen , op.cit, p.683-684.

– الرملة مدينة بفلسطين قرب بيت المقدس. ياقوت، المصدر السابق، ح3، ص 69.

– ريموند أجيل، المصدر السابق، ص 235 .

– توديبود، المصدر السابق، ص 313 .

-فولشر، المصدر السابق، ص 145.

– ابن القلانس، المصدر السابق، ص 136 .

118 -ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 237، 238 .

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 116، 117.

-توديبود، المصدر السابق، ص 314، 315 .

-فولشر، المصدر السابق، ص 151 .

– وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص 93، 99، 100، .101

119– ريموند اجيل، المصدر السابق، ص 238، 239 .

-المؤرخ المجهول، المصدر السابق،ص 115.

-توديبود، المصدر السابق، ص 314 .

-وليم الصورى، المصدر السابق، ح2، ص 104، 105، 106.

-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 137 .

– ابن الاثير، المصدر السابق، ح8، ص 189 .